

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي العقيد أكلي محند أولحاج بالبويرة
معهد الأدب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



العقل والدين عند أبي العلاء المعري

مذكرة استكمال متطلبات شهادة الليسانس

إشراف:

* حسين قارة

من إعداد:

• حميدة طابتي

• مريم درويش

السنة الجامعية: 2011/2010

شكر وتقدير

نحمد الله عز وجل الذي يسر لنا الطريق وأمدنا بالبصر لا تمام هذا العمل المتواضع.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "حسين قارة" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة طيلة إشرافه على هذا العمل

ونرجو من الله أن يجعلها في ميزان حسناته.

كما نشكر أساتذة اللغة العربية وآدابها على المساعدة التي قدموها لنا

وكل من ساهم من قريب أو بعيد في مساعدتنا على إتمام هذا العمل:

قال تعالى:

" وقل اعملوا فيسري الله عملكم ورسوله والمؤمنون "

صدق الله العظيم.

إهداء

في البداية أهدي عملي الذي من أرشدني ووفقني وسدد خطاي

في إنجاح هذا العمل وهو "الله" سبحانه وتعالى.

إلى التي سهرت الليالي خشيتها علي

إلى التي كتمت أهاتها لتمسح الدمع من عيني
إلى التي يجف القلم عند كتابة اسمها ويطوي الشوق إليها جنبي
إليك يا أغلى إنسان في الوجود " أمي الحبيبة "
إلى الذي رباني وعلمني وكان له الفضل الكبير في هذا العمل
والذي أظل راكعة على ركبتني طيلة حياتي شكرا لفضله
" أبي الحبيب "

إلى سندي في الحياة ومعيني أخي الحبيب " محمد "
إلى إخوتي كريمة، الهام وزوجها بوجمعة، عقيلة وزوجها إسماعيل، سعاد، وسام، دنيا.
إلى رمز الطفولة والبراءة " شيماء "
إلى أحبباء القلب : سالية، صليحة، حورية، فريد
إلى روح جدي رابح وجدتي حمامة رحمهما الله.
إلى جدتي حسنة وجدي محمد اللذان طالما دعماني بدعائهما
إلى خالاتي: سعيدة وفريدة
إلى صديقتي ورفيقتي في هذا المشوار العلمي مريم
إلى صديقتي العزيزات أمينة، زينب، صبرينة، حميدة

إهداء

الحمد و الشكر أولا لمبدع الكون سبحانه وتعالى فهو الموفق والمعين في إعداد
هذه المذكرة التي لا ندعي الكمال لها
فإننا نرجو أن تكون قد أضافت
و لو القليل لإعانة طلاب الجامعة اللاحقين.
أهدي ثمرة جهدي إلى أعظم نعمة من الله
إلى اللذان مهما قلت عنهما فلن أوفيهما حقهما

إلى أبي وأمي حفظهما الله.

دون أن أنسى عائلتي الكريمة صغيرا وكبيرا

خاصة ابنة عمي ليلي.

والى صديقتي في المذكرة حميدة و إلى جميع الصديقات .

مريم

مقدمة

إن العصر العباسي يمثل عصرا ذهبيا لم تشهد له البلاد العربية من قبل لما تميز به من حضارة في جميع المجالات السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والفكرية، لقد كانت العلوم عامة وقضايا الفكر خاصة فلسفة وأدبا ومذاهبا قد بلغت أوجها ، كان هذا الازدهار الفكري الحضاري نتيجة انفتاح دولة بني العباس على كل العوالم الفكرية والعلمية ويقابل هذا التصاعد الثقافي والحضاري في هذا العصر انحدار وتفكك سياسي واجتماعي وأخلاقي أضحى فيه الشر طبعاً لا تطبعاً.

في ظل هذا الازدهار يظهر أبو العلاء إنسانا مغايرا رافضا متمردا خالف سابقه وأتى بما لم يستطعه الأوائل فهو القائل:

وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

حيث قرن الشعر بمنهج تأملي فلسفي فهو كما قيل شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء لقد كان نجما ساطعا في سماء تراثنا العربي وحضارتنا الفكرية هذا النجم الذي سجل حضورا متميزا طيلة أربعة عشر قرنا ومازال ليومنا هذا يستقطب الكثير من الدراسات التي حاولت نفض غبار اللبس ورفع الغبن عنه ، وإنزال شاعرنا الحكيم منزلته الحققة، ضف إلى ذلك شغفنا إلى معرفة كنه هذا الرجل والتوغل في ثنايا فكره كلها أسباب جعلتنا نحاول في بحثنا هذا أن نرسم صورة صاحبنا برصد ما قدمه لنا دارسوه معتمدين على منهج استقرائي لفكر أبي العلاء من خلال شعره ونثره الذي تفيض منه مختلف القضايا الفكرية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والدينية والماورائية ، معتمدين على عدد من المصادر والمراجع والبحوث والدراسات الجامعية.

أما الإشكالية التي نحن بصدد طرحها تتمثل فيما يلي:

ما هي حقيقة الدين عند المعري؟ وهل صحيحا أن المعري كان خارجا عن الدين؟ أم أنها اتهامات باطلة اتهم بها الرجل.

وللإجابة على هذا السؤال صمنا بحثنا هذا من ثلاثة فصول بإمكانها أن تجيبنا عن هذا السؤال المطروح وتوضح لنا الرؤية الخاصة بدين المعري، وقد تكلمنا في الفصل الأول عن ماهية العقل ثم تطرقنا إلى أصوله الفلسفية ومنابعه، معرجين إلى ميزان العقل عند الرجل هذا العقل الذي كان سبب شقاء المعري كما كان سبب شقاء كل العظماء ، ثم تعرضنا إلى إثبات عجز العقل وقصوره في بعض الأحيان.

أما في الفصل الثاني فقد تعرضنا إلى مسألة الدين عند المعري، وهي النقطة التي أثير حولها جدل ونقاش كبيرين موضحين مختلف الثغرات التي نفذ منها حاسدو المعري وطاعنوه في ديانتهم وعقيدتهم محاولين إظهار براءة الرجل من كل ما رمي به، أما في الفصل الثالث أثبتنا حقيقة دين المعري من خلال رسالة الغفران بحيث تحدثنا عن بعض النصوص التي تطرقت إلى فكرة الغفران بما فيها القرآن الكريم ، وبعد كل هذا إنه لخليق بنا الاعتراف بجميل فضل الرجل وتقدير جليل عمله بما قدمه للفكر خاصة والأدب عامة ، ولكن مع هذا نحن على يقين أن الفكر العلائقي بمختلف جوانبه لم يوف حقه على أكمل وجه ذلك أنه يستدعي التبصر والاستنباط لإظهاره على الصفة التي أرادها له شيخ المعرفة، وأملنا في كل هذا أن نكون قد وفقنا إلى ما فيه خير سائلين الله العزيز الحكيم بالتوفيق والسداد.

أما فيما يخص أسباب اختيار الموضوع فنتمثل في رغبتنا وفضولنا الكبير إلى معرفة حياة المعري من خلال دراستنا لبعض مؤلفاته ودواوينه وبالتالي معرفة دينه وعقيدته ، وكيف تعامل الدارسون والباحثون مع هذه الشخصية الغامضة.

مدخل:

أبو العلاء المعري شخصية عجيبة ، اختلف الناس حولها منذ أن ماتت وحتى خلال حياتها وانقسموا شيئا ومذاهب في نقدها.

أبو العلاء المعري شاعر مفكر، سار على خط فكري وفلسفي وحياتي لم يتبدل أو يتغير حتى في التطبيق العلمي وفي لون المادة الأدبية التي قدمها لنا سواء كانت تلك المادة ممثلة في نثره كما في "الفصول والغايات" وفي "رسالة الغفران"، أو كما في شعره سقط الزند وخاصة في سفره الخالد " اللزوميات" أو لزوم مالا يلزم ،لقد أعطانا المعري من كتبه وأفكاره الكثير ومع ذلك فإننا نلطم الرجل لو قسناه فقط بكتبه فحجمه أكبر من ذلك... لأن حياته هي نفسها أحسن وأعظم كتاب يصدر عن أبي العلاء المعري، فقد آمن بفلسفة خاصة وعبر عنها في نثره وشعره ،والتزم بها حياة فتحوّلت الكلمة إلى فعل وتحول الرأي عنده إلى تطبيق واقعي أرتاه وسار عليه.

وقد جاءت آراء الشاعر شاملة لجوانب الحياة فلم تقتصر على جانب واحد معين فشملت الكون ومظاهره ومبادئه، استشعر العبث واللا جدوى وتنفس الاغتراب والعمق ،أيقن بلا غائبة الكون وبجبرية الإنسان وانتهى إلى تكريس الموت وديمومة العدم وتعرض للقضاء والقدر، والشر والخير، والزواج، والبنوات، والرسالات السماوية.

أراد أبو العلاء أن يصلح ما استطاع إليه سبيلا فانطلق بالأدب من النطاق الإقليمي والقومي إلى رحاب الأدب العالمي حيث جاء شعره تعبيراً عن المجتمع والطبيعة متجاوزاً حدود الزمان والمكان، رأى أبو العلاء في ظلامه الدامس النور المتوقد والكون الفسيح الذي جعله حديث روحه فتذوق النقش ليستشعر باللذة والأمان وحكم الإرادة ، وجاءت دورة الدم في جسده دورة للفكر وراح يفتش عن نبضة الحياة في جرحه، حتى جاء إنتاجه خميرة شخصيته، عاش أبو العلاء بإرادة قوية وعرف حقيقة وجوده ليسمو بوجوده إلى العلاء.

أمن بأن الجسد عبارة عن قشرة زائلة يتجمد ويتدرج فنظر إلى الكون من خلال الروح والسمع في نمط حياتي غني عن التعريف ويقول:

وقد سار نكري في البلاد فمن لهم ياخفاء شمس ضوءها متكامل؟

وقد أتى أبو العلاء بما لم تستطع الأوائل أن تأتي به، من إحصاء اللغة وتدوينها في كلام نافع ممتع ،ومن إتقان لعلومها وبراعة مميزة في النحو والصرف والعروض حافظاً لأكثر ما أنشأ الشعراء وكتب الكتاب في العصور الأدبية التي سبقته.

ولم يكتف بذلك بل أتقن علوم الدين على اختلافها فروى الحديث وفهم القرآن الكريم أحسن فهم ودرس الفقه والكلام كأحسن ما يكون الدرس، وبهذا كان أبو العلاء المعري قذا بين أدباء العرب وشعرائهم

وكتابهم لم يجتمع لأحد من الذين سبقوه أو جاءوا بعده مثل ما اجتمع له من علم وسعة ومعرفة وعمق وتجربة، ولما رست سفينته ولطمها الموت كانت وصيته على ضريحه:

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد

ولعل موت أبي العلاء لم يكن خيرا من ظروف حياته التي عاناها وذاق مرارة علقمها، فقد وجهت نحوه سهام حادة فاتهم بالزندقة والتشاؤم وأنه انتأش لحم البشر بأنيات حداد، حتى زهده كان عند زعم البعض سلبية وضعفا في الحيوية، وانسحاب المهزوم في مواجهة المجتمع.

ولكن رغم هذا وذاك يبقى لعطاء الرجل دورة زمن وموقف شاعر وإحساس إنسان ينتاب المرء على عتبات الحياة القاسية والأمل الضائع والأمانى المستعصية.

ونحن وإذ لا يساورنا شك في الصلة الوثقى لعطاء الرجل الفكري والفني، بمكوناته الذاتية من ناحية وبسائر عناصر مجتمعه السوري والإسلامي من ناحية أخرى، فإننا نتناول تجربة الحياة ونشأة الشاعر وأثر البيئة والثقافة في عطائه، علنا نغني بحثنا بقدر من الجهد ونفي أبا العلاء بعض حقه في معاشتنا لتراثه وسيرة حياته.

الفصل الأول: العقل

1. تعريف العقل

أ. لغة

ب. اصطلاحا

2. العقل عند المعري

1-2 الأصول الفلسفية عند أبو العلاء المعري

2-2 العقل وثنائية البنية والإمامة

3-2 العقل وثنائية الشك واليقين.

-تعريف العقل :

أ- لغة : جاء في لسان العرب لابن منظور في باب اللأم فصل العين : عقل : العقل : الحجرُ والنهي ضد الحمق والجمع عقول، و في حديث عمرو بن العاص : تلك عقول كاد بارئها أي أرادها بسوء.

- عقل يعقل عقلا ومعقولا وهو مصدر.

- وعقل، فهو عاقلٌ وعقولٌ من قوم عقلاء.

فيقال: رجل عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه مأخوذ من عقلتَ البعير إذا جمعت قوائمه وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه ويردّها عن هواها، أخذ من قولهم قد اعتقل لسأته إذا حُيسَ ومُنِعَ عن الكلام ويقال ماله معقول أي عقلٌ، وسُمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه من التورط في المهالك أي يحبسه، وقيل: العقل هو التمييز الذي يميز به الإنسان من سائر الحيوان¹.

ب -اصطلاحاً: العقل جوهرٌ مجردٌ عن المادة في ذاته، مفارقٌ لها في فعله وهو النفس الناطقة² التي يشير إليها كل واحد بقوله: " أنا " وقيل: العقل جوهرٌ مجردٌ عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف، و قيل: العقل قوّة النفس، كما قيل العقل ما يعقل به حقائق الأشياء وجاء في الحديث القرآن كالإبل المعلقة المشدودة بالعقال والتشديد فيه للتكثير، وفي حديث عمر كُتب إليه أبيات في صفيحة منها:

قفا سلعٍ بمختلف التجار

فما قلص وُجدن معقلات

يعني نساء معقلات لأزواجهن³، و في الحديث أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم فرسٌ سُمي " ذا العقّال " قال: العقّال بالتشديد، داءٌ في رجل الدواب وقد يخفف، سُمي به لدفع عين السوء عنه⁴.

وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾⁵ وقوله تعالى ﴿ فَفَلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾⁶، أما

¹ - أبي الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري؛ دار صادر للطباعة والنشر، ط 4، 2005، ص 273.

² - تقسم النفس عند الفلاسفة إلى: النفس الحيوانية، النفس الفلكية، النفس النباتية، النفس الناطقة وهو تقسيم يوناني .

³ - المرجع نفسه، ص: 233 .

⁴ - المرجع نفسه، ص: 235 .

⁵ - الآية 44 من سورة البقرة .

⁶ - الآية 73 من سورة البقرة .

العقل عند المدرسين خاصة ما يعين على التجريد واستخلاص المعاني الكلية وهو وسيلة المعرفة، فيدرك الجزئي، كما يدرك المعاني العامة، ومنه العقل الفعّال والعقل المنفعل، ولم يبق لهذا المصطلح إلا قيمة تاريخية، وإن تعددت المعاني التي ارتبط بها مصطلح عقل إلا أن معنى الربط يبقى أهمّ التعاريف وأكثرها ظهوراً كما أنّ اعتمادنا على معجم واحد وهو لسان العرب لابن منظور ذلك راجع إلى أن هذا المعجم أشهر المعاجم واحتوائه على أكثر من معجم واحد.

2- العقل عند المعري :

كان طبيعياً أن ينهار كل شيء في العصر العباسي الثالث (القرن الهجري الرابع) كدولة ومؤسسات ومجتمع، وأن يزدهر- في الوقت نفسه - كل شيء من أشياء الفكر، فتبلغ الفلسفة أوجها ومعركة علم الكلام نهايتها، والشعر قمته، والنثر أعلى مراقي بلاغته، وأنق صورته فأصبح وكأنه فُسيّفاء ترصع بها جدران الأدب العربي وسقوف منزله، بالرغم من أن سكان هذا المنزل بدأوا يغادرونه واحداً بعد واحد، أمّا العلوم وهي الوجه الآخر للفكر، فقد حققت في هذا العصر نصراً مبيّناً، لا سيما في ميدان التطبيق والممارسة وانعكاس كل ذلك على الإنسان العربي في تفكيره وسلوكه ونتاجه، هذا الإزدهار الفكري الحضاري كان- كما يقول ابن خلدون - ظاهرة طبيعية⁷، وإبان تمازج العرب، أصحاب العصبيتين، بغيرهم من الأمم ذوات الحضارات العريقة، ثم أخذهم عنها عاداتها وتقاليدها، ومعطيات فكرها، و هضم كل ذلك وتمثله و إغنائه وتأصيله وبتعبير آخر: تعريبه بكل ما في كلمة تعريب من تفرد وأصالة وشوق إلى الأفضل، وفي ظل هذا الإزدهار الفكري والحضاري، يظهر لنا أبو العلاء المعري الذي أعلى من شأن العقل، متبعاً في ذلك الفكر رجال عصره.

الأصول الفلسفية عند أبو العلاء المعري: 1-2

لا بدّ لنا أثناء تحدثنا عن فلسفة أبي العلاء المعري وآرائه الفلسفية، أن نشير إلى الأصول

الفلسفية في الشعر القديم والمولد، فالأفكار الفلسفية التي تناولها الشعراء منذ القديم، لم تتعدّ كونها خطرات فكرية في شؤون الحياة، و معلوم أن المذهب الفلسفي الواحد ينظر إلى الكون بجملته بمنظار واحد ويقبس جميع شؤون الحياة بمقياس واحد، ويقيم كل ما فيها بمقياس، لكن المواقف البارزة في الشعر العربي لم تبلغ من الشمول هذا المبلغ، ولم تقترن بالتحليل والتعليل الذي يشترط في كل مذهب فلسفي، والباحث في شعر الجاهلين يجد كثيراً من النظرات الفلسفية الأخلاقية والدينية وغيرها.

ومن أكثر من عرف بذلك طرفة⁸ و زهير⁹ من المتقدمين، واشتهر من الإسلاميين أبو العتاهية¹⁰ أبو تمام¹¹، أبو الطيّب¹² وأبو العلاء¹³، فالدارسون عرفوه شاعراً أو فيلسوفاً غير واضح بينهما وعرفوه للناس

- خليل شرف الدين، أبو العلاء المعري، مبصرين عميان، دار ومكتبة الهلال، 1988، ص 7.

8- هو أبو عمرو طرفة بن العيد بن سفيان بن سعد البكري، شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات، ولد في بادية البحرين، وقتل في هجر ولما يزل شاباً سنة 60 قبل الهجرة.

9- هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني من مضر، من شعراء المعلقات، ولد في بلاد مزينة بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر، توفي سنة 13 قبل الهجرة.

كذلك في شكل من هذه الأشكال، و الذين زعموا فلسفته وقفوا عند حدّ أنه حكى أفكاراً من فلسفات شتى ثم جهد في أن يلائم بينهما، وقد أخفق في رأي فريقٍ إخفاقاً، ووفق في رأي فريقٍ توفيقاً معجباً¹⁴، وبين الفلسفات السالف ذكرها وفلسفة أبي العلاء فروق كثيرة، فمصدر فلسفة زهير وأمثاله أنهم استمدوا حكمتهم من الفطرة والتجارب، وأبو العتاهية وأمثاله اقتبسوا حكمتهم من الدين الإسلامي، وأبو تمام أراد أن يخضع الفلسفة والعلم للشعر ولكن دون جدوى، أما أبو العلاء¹⁵ فلم يرد ذكره في تواريخ الفلسفة العامة، وقلما ذكره الشرقيون كفيلسوف وإنما كان مفكراً حرّ التفكير على حدّ قول شوقي ضيف¹⁶: "ولو أنّ فلسفة أبو العلاء عُرفت للناس كما هي ودُرست في مدارسهم درساً مفصّلاً، لكان للرجل في آرائهم غير هذه الحال" فالذين كتبوا عنه من العرب، لم يحفلوا إلا بذكائه وذاكرته، ولغته وإلحاده، يروون فيه الأعاجيب ولم يستطيعوا أن يفهموا فلسفته، لغموض ألفاظه وأساليبه من جهة ولغموض الكتب والأسفار التي ألّفت في الفلسفة الإسلامية، على أنهم قد سبقوا المسلمين إلى شيء من البحث عن فلسفة الرجل وإن لم يصلوا منها إلى ما يشفي الغليل، ولعلنا أول من استطاع أن يفصل الفلسفة العلائية تفصيلاً يظهر للناس على أسرارها ودقائقها¹⁷، وقد اختلفت كلمة المتأخرين في كون أبي العلاء فيلسوفاً، فذهب كثير من المستشرقين إلى أنّه شاعر فيلسوف، وذهب فريق إلى أنّه جمع بين الوصفين وفريق منهم يعده من أعظم فلاسفة الأخلاق، وفريق منهم جعله شاكاً حيران، ومنهم من نفى عنه صفة الفلسفة¹⁸، أمّا العرب منهم من جعله شاعراً فيلسوفاً لما استنبط من خلال آثاره في "لزوم ما لا يلزم"، "الفصول والغايات"، "ملقى السبيل" معاني فلسفية وصور خيالية ما جعله يعد فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة والحكماء ومنهم من قال إنّ المعري لم يبتكر شيئاً في الفلسفة أمثال "كمال اليازجي" إذ أورد في كتابه "أبو العلاء ولزومياته" تعليقا على قول الدكتور طه حسين في كون أبي العلاء فيلسوفاً بقوله: "ولكن أين آراء أبي العلاء الطبيعية والإلهية من كتاب "النجاة" لابن سينا؟ وأين آراؤه الاجتماعية من مقدمة ابن خلدون ومدينة الفرابي؟ وأين آراؤه الأخلاقية من تهذيب الأخلاق لمسكويه؟ ويضيف: "إن هذه الكتب موضوعة على أسس فلسفية نظرية وهي شاملة البحث متفرعة القضايا، متماسكة الجزئيات، وأمّا تلك فأراء وخطرات أوحتها المناسبات وغذاها الشعور"¹⁹، وهنا يبدي كمال اليازجي رأيه في اللزوميات من أنّها لا نقصد أن نجرّد اللزوميات من كل صفة فلسفية، بل نحاول أن نضعها في مكانها اللائق من التراث

10- هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم، شاعر مكثر في الشعر والمديح، ولد في عين التمر، بقرب الكوفة وسكن بغداد، توفي فيها سنة 211 للهجرة.

11- هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، الشاعر الأديب، أحد أمراء البيان، صاحب الحماسة، ولد بحاسم وتنقل بين مصر وبغداد، توفي بالموصل عام 231 للهجرة.

12- هو أحمد بن الحسن الكوفي الكندي، الشاعر الحكيم، ولد بالكوفة ونشأ بالشام، توفي قبل سنة 354 للهجرة.

13- تغريد زعيميان، الآراء الفلسفية عند أبي علاء وعمر الخيام، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2003، ص 167.

14- عبد الله العلايلي، المعري ذلك المجهول، دار الجديد، ط3، 1995، ص 25.

15- هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التتوخي المعروف باسم المعري نسبة إلى "معرة النعمان" وهي بلدة بين حلب وحماة، وكان يكنى أبا العلاء، ولد سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، لم يبلغ الرابعة من عمره حتى اعتل علة الجدري التي ذهب فيها بصره، حيث يقول "لا أعرف من الألوان إلا الأحمر لأنني ألبست في الجدري ثوبا مصبوغا بالعصفر، لا أعقل إلا ذلك" تتلمذ على يد أبيه ومن في بلدته من تلامذة ابن خالويه، درس العلوم اللغوية والشريعة، كما درس المسيحية واليهودية أثناء تطوافه بالشام وأدياره، ولما بلغ الثلاثين، سأل ربه انعاماً ورزقه صوم الدهر فلم يفطر في السنة والشهر الا في العيدين

16- تغريد زعيميان، الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، ص 168.

17- تغريد زعيميان، الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، ص 168-169.

18- يوحنا قمير، فلاسفة العرب، دار المشرق، بيروت، ط1، 1988، ص 05.

- ينظر: تغريد زعيميان، المرجع نفسه، ص: 170¹⁹

الفكري، أمّا شوقي ضيف فبعد التعليقات التي يعددها ينفي كون أبي العلاء فيلسوفاً بقوله، " إن أبا العلاء لم يكن فيلسوفاً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة وآية ذلك أنّه لم يترك أية نظرية فلسفية معللة أو موضحة، وكيف له بصنع نظريات؟ إنّه لم يكن يفكر تفكيراً أدبياً يقوم على التشاؤم والسخط"، أمّا عمر فروخ فيقول: " سنسمي المعري²⁰ فيلسوفاً على التوسع كما سمي سقراط نفسه فيلسوفاً"، وكما سمي كثير من المفكرين في العصور الوسطى في الغرب فلاسفة، غير أن الأصون أن نسميه حكيم المعرة كما نقول سقراط الحكيم²¹.

ومما سبق نصل إلى هذه النتيجة أنّ أبا العلاء تعرّف على الفلسفات اليونانية والفارسية، التي

كانت سائدة في عصره بواسطة الترجمات ودرسها دراسة متقنة وتأثر بها، فأخذ عن اليونان الإتجاه العقلاني وعن البوذيين نزعة الزهد والاعتزال، وعن المزدكية فكرة الدهر الأعمى الشبيه بمبدأ الظلمة الذي يسبب الشرّ والفساد²²، ومن المعروف أنّ أبا العلاء خالف عادة قومه وسلك حياته طريقاً خاصاً، وكذلك في درسه وعلمه، بل هو لم يرض أن يكون مستسلماً لمألوف حتى لم يستطع أن يجاريهم في شيء، يجاري فيه كل الناس لاعتزازه سلطان الوراثة والوجدان والقوة والسياسة وهو الدين، فلم خالف أبو العلاء قومه وسلك طريقه الخاصة في الحياة؟ وبعبارة موجزة لم كان فيلسوفاً²³؟ فمن المحقق أنّه لم يسلك هذه الطريق مختاراً، وإنّما خضع في سلوكها لأسباب قاهرة دفعته إليها، فلم يجد عنها مخرجاً، ولم يطق لها ردّاً فقد عُرف أنّه أنفق حياته نهب المصائب والآلام، وأنّ الحياة العامة في عصره كانت سيئة رديئة من الوجهة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما كان ذكياً صادق الفطنة، قويّ الحس، دقيق الملاحظة، فإذا اجتمعت تلك الأسباب كلّها أنتجت من غير شك رجلاً يحب أن يدرس الأشياء ويتعرف عليها ونتائجها ويتقي شرّها ما استطاع، وهذه هي حال أبي العلاء²⁴، ويرى الدكتور طه حسين أن أبا العلاء في كتابه "الفصول والغايات" أرّخ بدء حياته الفلسفية معللاً ذلك بقوله: "على انه -أبا العلاء- لم يجلب حياته الفلسفية من بغداد، وإنّما بدأها وأقام عليها في المعرة ثم ارتحل إلى بغداد وعاد إلى المعرة وقد أتمها وأكملها بالعزلة ثم أضاف: و" ما أكاد أشك في أنه حين ارتحل إلى بغداد حمل معه طائفة من لزومياته ومن فصوله وغاياته".

على أنّ أبا العلاء²⁵ لم يبلغ الثلاثين، حتى غيّر حياته التي كان يشارك الناس فيها واستأنف حياة

جديدة هي التي أنتجت لنا "اللّزوميات" و"الفصول والغايات" وقد جاء في أحد فصول "الفصول

4- في سن السادسة والثلاثين رحل إلى بغداد ولقي علماءها أمثال: الزبيعي والوجكا والسكري والمرتضى، ولما عاد المعرة، التزم ثلاثة أشياء " نبذة كنبذة فتيق النجوم، وانقضاباً من العالم كانقضاب القانية من القوب وثباتاً في البلد ان حال أهله من خوف الروم" وسمى نفسه رهين المحبسين، يعني حبس نفسه في المنزل، وحبس بصره عن الرؤية، ومكث في هذين المحبسين نحو خمسين عاماً ألف خلالها تلك الكتب الكثيرة، والتي تدل على انه كان واسع الثقافات سعة شديدة .

21- تغريد زعيميان، المرجع نفسه، ص:171.

22- تغريد زعيميان، الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، ص 171.

23- طه حسين، أبو العلاء المعري، الشركة العالمية للكتاب، ط 2، 1983، ص254.

24- ينظر: طه حسين، المرجع نفسه، ص 255.

25- كان عالماً حاداً، أدبياً، مثقفاً، ومؤلفاته الكثيرة تشهد له ذلك أنه " كان حسن الشعر، جزل الكلام، فصيح اللسان، غزير الأدب، عالماً باللغة، حافظاً لها " ولا شك أن لثقافته الواسعة المملة تلك، منابع وأصول بحيث أخذ عن أبيه وجدّه، كما قرأ القرآن بكثير من الروايات على شيوخ يسار في القراءات وبهذا كان له رحيق ديني كثير، أما النحو واللغة، فقد كان فيهما - رحمه الله- علامة عصره.

و الغايات": "ما زلت أمل الخير وأرقبه حتى نضوت كماً ثلاثين"، فأبو العلاء في هذا الفصل

يعلل إثارة للحياة الفلسفية²⁶، و للفلسفة العلائية مصادر مختلفة أهمها الحياة نفسها، فإن أبا العلاء قد درس حياة قومه درسا مستقصى، إنتهى به إلى نقد كثير من الأخلاق والعادات ومن الأطوار والآداب التي لم ترقه، كما يدل ذلك عامة شعره في اللزوميات.

ومنها الفلسفة اليونانية التي قدمنا الإشارة إليها غير مرّة، و قد درسها أبو العلاء في أنطاكية واللاذقية، ثم أتقن درسها في بغداد، ومنها الفلسفة الهندية، فقد كانت لها حياة خاصة في العراق وبلاد الفرس في أواخر القرن الرابع، وأوائل القرن الخامس²⁷، ومنها الفلسفة الفارسية، وقد عُرفت هذه الأخيرة للمسلمين منذ بدأ اختلاط العرب بالفرس يشتد في أيام بني أمية، وظهرت الكتب الفارسية مترجمة أيام العباسيين بفضل ابن المقفع، وإنما أخذ العرب عن الفرس الأخلاق والسياسة، والنجوم، والأفاصيص، وأبو العلاء قد قرأ الفلسفة الفارسية في الكتب، وعاشر الفرس وخالطهم أشد المخالطة حين رحل إلى بغداد حتى دخل أفاظ الفارسية في شعره²⁸ فقال في اللزوميات :

إذا قيل لك اخش الله مولاك فقل آرا

فهذه القافية فارسية، قالوا إن معناها نعم، وهي مُمالة الألف في لغة الفرس، ولذلك أمال أبو العلاء³⁰ قصيدتين وردت فيهما هذه الكلمة، ومن مصادر الفلسفة العلائية أيضا، كتب الدين على اختلافه، فإن أبا العلاء قد درس الإسلام، واليهودية، والنصرانية، والمجوسية وناقش هذه الديانات كلها في اللزوميات، فأما الإسلام فقد درسه في بلده منذ نشأ، أما اليهودية والنصرانية فقد رجحنا أنه بدأ درسهما في اللاذقية، وأما المجوسية، فلا شك في أنه لم يحسنها إلا حين ارتحل إلى بغداد، و ذلك لأننا لا نجد آثارها في شعره ونثره قبل فراقه الشام³¹، ومن هذه المصادر المختلفة تكوّن المزاج الفلسفي لأبي العلاء، فكان مختلفا متباينا بمقدار ما بين مصادر من التباين و الاختلاف، ولسنا في حاجة إلى أن ننص على أن الكلام والتصوف، من مصادر الفلسفة العلائية، فقد قدمنا أن كلا هذين العلمين ليس إلا مزيجا أنتلف من الفلسفة اليونانية وأصول الإسلام³².

أما أهم النزاعات الفلسفية التي ذكرها المعري، واتصل بها اتصالا ما فهي عديدة لا نستطيع حصرها جميعا إلا أننا سنذكر بعضها منها: المشائية³³، والدهرية³⁴، والهندية³⁵، وغيرها كثير، أما فيما يخص

²⁶- تغريد زعيميان، المرجع نفسه، ص 171.

²⁷- طه حسين، أبو العلاء المعري، المرجع نفسه، ص 256 .

²⁸- نفسه، ص 257 .

²⁹- أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 1، ص 75.

³⁰- قيل عنه : " كان بالمشرق لغوي وبالمغرب لغوي في عصر واحد، لم يكن له ثالث وهما ابو العلاء وابن سيده " . فقد كان يعنى
- عناية شديدة بجمع الأفكار والصور القديمة وحشدها في اشعاره وكتاباتة على نحو ما نرى في الفصول والغايات واللزوميات، وكأنه كان يؤلف شعره للمتقنين خاصة فهو يجمع لهم فيه كل ما يعرفونه من ظروب الثقافات وألوان المعرفة وخاصة المعرفة الفنية وما يطوى فيها من صور غريبة ولفظ غير مألوف حتى يستولي على أفئدتهم بهذه الطرائف النادرة والتي كانت تعد بدعا جديدا في هذه العصور، والتي كان الناس والنقاد يقيسون بها مهارة الشاعر وإبداعه.

³¹- طه حسين، أبو العلاء المعري، ص 258 .

³²- طه حسين، أبو العلاء المعري، ص 258- 259 .

³³- المشائية ومن مبادئها: أزلية العلة الأولى وثبوتها بدليل الخلق، ونفى الحركة عنها، وأزلية الزمان، وعدم تناهي المكان واستمرار الحركة، وسيطرة ناموس الكون والفساد، وتكون الأجسام من العناصر الأربعة وتفككها إليها لدى انحلالها، وتعظيم العقل، ووجوب الاسترشادية .

موضوع فلسفته، فقد تناول أبو العلاء بفلسفته ما تناول غيره من الفلاسفة، فبحث عن العالم وما فيه وبحث عمّا وراء المادة وبحث عن السياسة والأخلاق وأطوار الاجتماع، ونحن مقسمون فلسفته تقسيماً سهلاً علينا درسها من غير أن تنتشت وتنفرق³⁶، دون أن ننسى أن الشعر الفلسفي قد أخذ طريقه إلى الوجود على يدي أبي العلاء، ولعل ظهور هذا اللون من ألوان الفن الشعري يمثل إضافة للفنون الشعرية الأخرى التي ظلت كما هي دون إضافة فعلية حتى عصر أبي العلاء، وفنه هذا جديد، ولكن قد يتساءل الباحث، لماذا تأخر هذا اللون من الشعر في الظهور على الرغم من مرور ثلاثة قرون على الأقل، وإذا افترضنا أنّ ديوانه "اللزوميات" قد أملاه إبان النصف الأول من القرن الخامس هجري كانت مليئة بالجدل والنقاش حول العقائد والفلسفات الواحدة من كل اتجاه على العالم الإسلامي؟ ولكن ظهور هذا اللون من الفن الشعري لم يحدث فجأة عند أبي العلاء، بل كانت هناك بدايات قد تكون قليلة ولكنها كانت بدايات على الطريق إلى الصورة التي وجدناها في شعر أبي العلاء³⁷.

فالباحثون يذكرون كيف استطاعت مصطلحات علم الكلام أن تجد طريقها إلى المعجم الشعري في العصر العباسي نتيجة للأفكار التي كانوا يبيثونها، ليس على المستوى الخاص، ولكن على مستوى العامة، وربما كان أبرز أثر لهم في لغة الشعر ناشئاً عن توجيه اللغة إلى استيعاب المعاني العقلية اللطيفة³⁸، ولهذا نجد أحد الباحثين لا ينكر أنّ أبا تمام قد جاء بنوع جديد من الصياغة الفنية التي تأثرت بالفلسفة اليونانية كما في قوله:

صاغكم ذو الجلال من جوهر المجـ د صاغ الأنام من عرضه

ولكنه ينكر عليه إحدائه نقلة للشعر العربي كالنقلة التي تمت على يدي أبي العلاء معللاً ذلك بقوله: "وهذا أمر يمكن فهمه بسهولة، فالفلسفة الإغريقية لم تكن بعد قد هضمت، وكان العرب حديثي عهد بها، وقد استخدموها أوّل الأمر في مناقشة حقائق الدين وتدعيمها، وكان من الطبيعي أن لا تمتد إلى الشعر إلا فيما بعد عندما دخلت في التيار الفكر العام"، ولا جدال في أنّ المناخ الفكري، والقدرة اللغوية التي كان عليها

3- الدهرية ومن مبادئها: القول بقاء الدنيا واطمحلال الروح، واعتقادهم بان الروح مصدرها الأرض تنتشع مع الجسم وتقنى بقاءه.

35- النزعة الهندية ومن مبادئها: احتقار الحياة الدنيا، واعتبار الشر فيها اغلب على الخير، والنفور من الناس لفرط فسادهم، وتفضيل الفقر على الغنى، والمسكين على الملك، وضلال النفس لتعلقها بهذا العالم، وتعذيب الجسم لتطهير النفس مما لحقها.

36- طه حسين، أبو العلاء المعري، ص 267.

37- من آثاره -"لزوم ما لا يلزم": وهي في المنظوم، يُبنى على حروف المعجم ومعنى "لزوم ما لا يلزم" أن القافية يردّد فيها حرف، لو غيّر لم يكن ذلك مُخلاً بالنظم لكنه التزمه في كل بيت، ومقدار هذا الكتاب أربعة أجزاء، ومائة وعشرون كراسة، وقد وضع المعري كتباً تابعة لهذا الكتاب على غرار "راحة اللزوم": شرح فيه ما في "لزوم ما لا يلزم" ومقداره مائة كراسة، وكتاب آخر بعنوان "نجر النَّاجح" ويردّد فيه المعري على من طعنه ونسبه إلى الكفر، وهو كتاب صغير مقداره أربعون كراسة.

- "سقط الزند" يعتبر من أحسن أشعاره، وقد أولاه العلماء أهمية وشرحوه، مائة خمسة عشر كراسة، شرحه (الخطيب التبريزي) (وابن السيّد البطلبوسي).

- كتاب "ملقى السبيل": وهو كتاب وعظ، جمع فيه بين نثر ونظم على حروف المعجم على كل قافية فصل نثر و أبيات شعر، مقداره كراستان، إضافة إلى هذه المؤلفات نجد له (الحقير النافع) و(الظلّ الظاهري) وكتاب (تفسير أمثلة سيبويه وغريبها) (والأمع العريزي) في تفسير شعر المتنبي و(إسعاف الصديق) و(ظهير العُصدي) و(استغفر واستغفري).

38 - عبد القادر زبدان، قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، ج2، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، ط2، 2006، ص37.

أبو العلاء³⁹، هذه القدرة أتاحت له حرية الحركة الشعرية في صياغة ما في داخله من فكر فلسفي، فهذا اللون من الشعر يعدّ بحق إضافة لها قيمتها في تيار التجديد العام للشعر⁴⁰.

2-2- العقل وثنائية النبوة والإمامة :

لقد كان أبو العلاء من العقول الكبيرة التي يتهيأ لها أن تحصل من العلم العميق ما يخرجها من حيرتها، ويسهل لها طريق التفكير النير، فقد أعلى من شأن العقل متبعا في ذلك رجال الفكر في عصره، فكان العقل عنده الإمام الفرد والنبّي الذي يرشد إلى الحقيقة حيث يقول :

أيها الغرّ إن خصصت بعقل فأسأله فكل عقل نبي⁴¹

فكان عقل المعري⁴² نتاج علوم عديدة بحيث اشتهر بالمعرفة الواسعة والعقل الذكي والقدرة على الاستيعاب والتفسير.

وإننا لا نستطيع أن نعتبر آراء أبي العلاء فلسفة بالمعنى الحصري ولا يمكن أن نعدّ صاحبها فيلسوفا بالمعنى الدقيق، لأنه لم يكن صاحب مذهب منظم كأرسطو، وابن سينا، ولم يبتكر شيئا في الفلسفة يعدّ رأيا له أو مذهباً خاصاً به، فإن آرائه مأخوذة من أصول فلسفية قديمة اختارها وأمن بها، أو تأملات في الحياة ترجح إلى ما لقي من تجارب وأحداث انتهت عنده كما انتهت عند غيره إلى أفكار عامة⁴³، كان أبو العلاء في الحقيقة "المّام فلسفة يجمعها من هنا وهناك" ونرى أن لأبي العلاء عقل كبير لم يملك زمام الذاكرة والعاطفة بالتعمق في ما سمع من الآراء المختلفة والمذاهب المتباينة فأخذ من كل مذهب بطرف⁴⁴، حيث ألح على إمامة العقل ونبوته في فهم كل وجود والتواصل إلى كل حقيقة حتى حقيقة الدين إن لم تكن خاضعة للعقل فهي ليست بحقيقة وحيث تعاملت الغوغاء بالدين وحدها ونأى العقلاء عنه أو أدعياء العقل في زمانه تمسك هو بعقله ورفض الدين كما فهمه المتاجرون به، أو كما تمسكت به الغوغاء تمسكا إيمانيا أعمى ثم هذا التفرد العلائي باحتضان الذات والإنطلاق في فهم نفسه وحقائق وجوده من خلال العقل لا النقل⁴⁵، فالمعري يرى أنّ العقل هو الهادي إلى الرشاد به تنفتح الغيوم وفي معنى العقل يقول المعري :

39- ومن آثاره نجد أيضا: كتاب "ضوء السقط": يشتمل هذا الكتاب على تفسير ماجا، في (سقط الزند)، مقداره عشرون كراسة، وقد وضع المعري هذا الكتاب لتلميذه (أبي عبد الله بن عبد الله الأصبهاني) الذي قصده إلى معزة النعمان ولأزمه حياته يقرأ عليه، بعد استعف من ذلك، ثم أجابه فقراً عليه إلى أن مات، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة "ضوء السقط". وكتاب بعنوان "الفصول والغايات": هو أول ما ألفه بعد عزله، وانقطاعه في منزله، وهو موضوع في تمجيد الله والعظمت، وقد وضعه على حروف المعجم، وإنما أراد بالغايات القوافي، لأنّ القافية غاية البيت، مقداره مائة كراسة. كما نجد أيضا كتاب "ديوان الرسائل": وهو على ثلاثة أقسام، الأول منها يضمّ خمس رسائل طوال: (رسالة الغفران) و(رسالة الملائكة)، والثاني: نجد (رسالة المنيع) و(رسالة الأعرىض) أما الثالث، فرسانله قصار كنحو ما تجري به العادة في المكاتبات، ومقداره ثمانمائة كراسة.

40- زيدان عبد القادر، قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، ج2، ص37

41- أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج2، دار الجبل بيروت، ط1، 1992، ص291.

42- لم يكن أبو العلاء يطلب مالا ولا عطاءً، لأنه كان زاهداً متقشفاً في حياته يكفيه القليل، فقد كان يضع قوانين صارمة في مطعمه وملبسه، إذ كان يختار خشن الثياب والطعام، وقص ذلك في شعره فقال إنّ طعامه العدس والتين أو كما يسميها البلسن والبلس فهما يقتعانه، وهما غذاؤه في حياته، وهو غذاؤه يجد فيه راحته النفسية، لأنه غذاؤه زاهد متقشف يرفض لذائذ الحياة وما ينطوي فيها من لذائذ الطعام.

43- حنا الفخوري، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية، د/ط، 1953، ص290.

44- تأثر وتأثراً عميقاً بالفاطمية، كما تناول بنوع خاص كليات المتنبي الفلسفية وبسطها، كما تناول آراء المعتزلة والفاطمية وغيرها كما كان مكبراً فوتوغرافياً لصور شاعر سيف الدولة أبو فراس الحمداني.

45- ينظر: خليل شرف الدين، أبو العلاء المعري، مبصرين عميان دار مكتبة هلال، بيروت، د/ط، 1988، ص

العقل في معنى العقل ولفظه فالخير يعقل والسفاه يحله⁴⁶.

ولا شك أنّ قيمة العقل في أدب المعري قيمة رفيعة فقد أوصل العقل إلى قمته في أدب فلسفي ففي شعر ونثر المعري تمجيد للعقل⁴⁷، فالمعري إذن يثق بالعقل ويرفض النقل، فقد سلك نهج المبدعين رافضاً المقلدين، كما تبدو قيمة العقل عند المعري في قوله: "العقل نبيء، والخاطر ربيء، ونور الله يهدي الثلاثة" كما كانت له آراء كثيرة وضّح فيها أهمية العقل وقيّمته.

ومن بين تلك الأبيات ما يلي:

يرتجي الناس أن يقوم إمام
كذب الظن لا إمام سوى العقف
فإذا أطعته جلب الرحمة
عند المسير والإرساء⁴⁸
ناطقاً في الكتيبة الخرساء
ل مشيراً في صبحه والمساء

لم يتخذ المعري في نظرته الفلسفية مذهب أهل السنة ولا مذهب السوفسطائية وأصحاب الشك ولا مذهب المعتزلة أيضاً، فهو لا يؤمن إلا بالعقل وحده مخالفاً بذلك أهل السنة لأنهم يقدّمون الشرع على العقل، وإن آمنوا به وخالف مذهب السوفسطائية لأنهم يهتمون بالعقل ولا يؤمنون به، ولا يعتمدون عليه، فهو يرى رأي الفلاسفة النظريين اليونانيين والمسلمين في الاعتماد على العقل⁴⁹، فقد نفى الإمامة عن كل شيء إلا العقل، أي لا إمام سوى العقل بالقياس إلى مذهب الإمامية بحيث يقول:

سأتبع من يدعو إلى العقل جاهداً
وأرحل عنها ما إمامي سوى عقلي⁵⁰
فهذا تصريح بأن الرجل لا يأتّم إلا بعقله، فأما قوله: "سأتبع من يدعو إلى العقل جاهداً" فإن لفظ "جاهداً" يعني أنّه لا يريد الإتيان المطلق الذي لا حكم للعقل فيه، إنّما يريد إتياناً يهديه إلى العقل، أمّا عن المبادئ التي تبناها المعري، فليست من النوع التجريدي الإستقرائي الذي يصوغ العموميات من الخصوصيات، بل إنّ مبادئه تجسدية بمعنى: أنّ للمعري آراء ومبادئ منتزعة من صميم الواقع المعيش والعقائد السائدة ويتعامل معها يُحاورها ويرفضها⁵¹، وتجدر الإشارة إلى أن أبو العلاء سلك طريق المبدعين، رافضاً المقلدين، فكان انتقائياً، موقفه ثائراً.

فكل شيء عنده خاضع للتغيير ثابت عنده، لا حقائق إلا ما خضع لسلطان العقل⁵². ورغم أهمية ما جاء به "المعري" فيما يتعلق بالعقل، إلا أن الإيمان بقيمة العقل في حياة الإنسان لم يكن بالجديد عند "المعري"، فقد كانت هناك إرهابات تدل على أنّ العرب عرفوا العقل ووثقوا به وأمنوا برسائله حتى ذهب بعض مفكرهم إلى أنّ بعض الأمور ما يدرك بالضرورة أي أنّ العقل يدركها حالاً بلا نظر ولا رؤية⁵³، وقال آخرون بوجود انطباق العقل مع الدين، فما كان من الدين مطابقاً للعقل قبلوه، و ما كان مخالفاً للعقل رفضوه، كما امتدح العرب العقل، فجعله أحدهم خير ما يزين الفتى وأسوأ ما يشينه⁵⁴:

يزين الفتى من الناس صحة عقل
ويشين الفتى قلة عقله
وإن كان محظور عليه مكاسبه
وإن كرمت أبأوه و مناسبه

فالمعري إذن يؤمن بالعقل وحده ويثق به فالعقل عنده هو الدليل والمصباح المنير الذي ينير جوانب الحياة المتعددة ويرشده إلى الصلاح والخير ويفتح له الأبواب المنغلقة، كما أكدّ كثير من المفكرين بعد "المعري" على قيمة العقل، فديكارت لم يزد عن "المعري" في شيء أما فيما يخص قيمة العقل،

⁴⁶- أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ص193.
⁴⁷- سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء بين الفلسفة والدين دار الوفاء، لدينا الطباعة والنشر، د /ط، 1999، ص100.

⁴⁸- أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1986، ص64.

⁴⁹- ينظر: سناء خضر، المرجع نفسه، ص200.

⁵⁰- أبو العلاء المعري، المرجع نفسه، ج2، ص224.

⁵¹- خليل شرف الدين، أبو العلاء المعري، مبصرين عميان، ص138.

⁵²- المرجع نفسه، ص139.

⁵³- سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص153.

⁵⁴- المرجع نفسه، ص153_154.

فهو القائل " أنا أفكرّ إذاً أنا موجود " وهذه المقولة تكرر لكثير من أقوال المعري⁵⁵ ، كما كان المعري يستضيء بمصابيح المعتزلة في إكبار العقل ورأى أن الحسن والقبح يُعرفان بالعقل، فقد كان يتفق معهم في الاعتياد بالعقل وفتح الأبواب للظن حتى ينفذ إلى الحقيقة كما ظنّ كثيرون أن "المعري" يؤمن بالعقل وينكر الشرع ولكن أشعاره تؤكد أنه يؤمن بالعقل والشرع معا حيث يقول :

وجدنا اتباع الشرع حزما لذى النهي ومن جرب الأيام لم ينكر النسخا⁵⁶

فالعقل عند المعري منهاج ووسيلة لدراسة قضايا عديدة تتعلق بالله والنفس والإنسان والمصير يرشدنا إلى الفلاح ونستدل به الخير من الشر، والصالح من الفساد.

2-3- العقل وثنائية الشك واليقين:

أغلب الظن أنّ الشك أخذ طريقه إلى فكر أبي العلاء في اللحظة نفسها التي أخذ وعيه في التحرر من نير التقليد والنقل، سالكاً طريق العقل.

ولم يكن الطريق العقلاني غريباً على الفكر الإسلامي في ضوء عصر أبي العلاء⁵⁷، فأبو العلاء وإن رأى أن يتخذ العقل إمامه في البحث عن الأشياء لم يستطع أن ينتحل له العصمة، ولا أن يزعم قدرته على الإيصال إلى اليقين المطلق، بل حفظ للشك حقه في الدخول على ما أثبتته العقل. وعلل ذلك بأطراف ما يعلل به المحدثون من الدارسين لعلم النفس، وهو أنّ العقل ليس في نفسه جوهرأً مستقلاً عن هذه الحياة المادية استقلالاً تاماً، بل هو بها متأثر ولها خاضع، ومن هنا اختلفت أحكامه، فنجده تارة يثبت الشيء ثم ينفيه وأوجبه تارة وسيله تارة أخرى حيث يقول :

ويعتري النفس إنكاراً ومعرفة وكل معنى له نفي وإيجاب⁵⁸

فوجد أبو العلاء يعترف بالعقل في العالم الحسي الملموس فقط، أما فيما يتعلق بالميتافيزيقيات أو ما وراء الكون والحياة وكل ما هو مجهول فالعقل يكون قاصراً وعاجزاً عن إدراك هذه الأمور ذلك ما يفتح المجال للظن والشك والحيرة لتحل مكان العقل، ولأبي العلاء أبيات عمّم فيها الشك وجعله مطلقاً، فظن الكثيرون الذين لم يفقهوه أنه إنما يريد نفي الحقائق، ولو فطنوا لمغزى الرجل لعرفوا أنه لا يعمم الشك إلا في مسائل الغيب، أما عالم الشهادة فلا يبسط ظلّ الشك عليه حيث يقول :

ولقد صغرت عن اليقين بخاطر ما كاد يبلغ حفره الانبساط⁵⁹.

فهذا البيت يثبت أنه قد يصغر عن إدراك اليقين في بعض المسائل لقصور عقله، ولقيام الموانع بينه وبين ما يريد⁶⁰، هكذا وقد كانت الحيرة والشك وليدة التفكير في ما لا يحده العقل عند المعري حيث تسأل هناك حياة ثانية أم لا؟ هل الله كما تصوره النصوص الدينية أم هو شيء آخر؟ أيتفق العقل مع الإيمان أم لا حيث يقول :

دفناه في الأرض دفن تيقن ولا عام بالأرواح غير ظنون⁶¹

فالمعري يرى أن العقل عاجز في بعض الأحيان عن إدراك الحق لسببين هما :

1 - طغيان الطبع والغريزة والهوى عليه.

2 - تعقّد بعض المسائل .

ولكن عجز العقل عن إدراك بعض المسائل لا يدعو إلى الهجرة، لأن الفساد كلّ الفساد في اتباع

55 - المرجع نفسه، ص 156.

56 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص 205 .

57 - عبد القادر زيدان، قضايا العصر في أدب أبي العلاء، ج2، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص 187 .

58 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج01، ص 70.

59 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج2، ص 9.

60 - ينظر: طه حسين، أبو العلاء المعري، ص 263.

61 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج01، ص 373.

الهوى والغرائز⁶²، وعلى هذا الأساس تعلل الدكتورة "عائشة عبد الرحمن" شك المعري في مسألة العقل، حيث أنه أسرف في الإيمان بالعقل ثم يرتد حيناً فينكره، ومصدر هذا عنده هو شعوره بقصور العقل فهذا العقل يعجز عن فهم ما يحفل به الكون من أسرار، فالمعري إذن يعمّم الشك في الغيبيات والماورائيات لقصور عقله عن إدراك هذه الأمور، فقد تخطّت عين أبي العلاء مصيرها الفردي المخفق لتبحث في الإلهيات، كمصدر النفس، أصل الكائنات... وكل ما يتعلق بمصير الكائن الحيّ في الوجود، فقد حاول أن يُخضع هذه المسائل للعقل البشري لكنّه ارتطم بحاجز المحدودية محدودية العقل الإنساني والقدرة الإنسانية جمعاء، لأنّ هذه المعاني ليست ثابتة، ولأن الحقائق العظيمة دائماً تتأجج بين الشك واليقين⁶³، أمّا بالنسبة للنقطة التي لا شك فيها حسب رأي أبي العلاء والتي لا تقبل الجدل هي الله عزّ وجلّ، فالمعري يؤمن به لأنّ العقل يشير إليه بدليلين هما: دليل العلة ودليل المعلول والعناية الإلهية⁶⁴ حيث يقول:

مولاك مولاك الذي ماله نذ وخاب الكافر الجاحد⁶⁵

لذلك كلّه انتهت رحلة أبي العلاء التأملية في البحث عن حقائق الكون والمصير الإنساني إلى نفي المعرفة الإنسانية والاعتراف بأنّ الحقيقة عسيرة، حيث يقول:

سألتموني فأعجبتي إجابتم من ادعى أنه دار فقد كذبا⁶⁶

وظلّ أبو العلاء مؤمناً بالعقل معتمداً عليه، فرغم بعض قصوره وعجزه عن إدراك حقائق بعض الأمور، إلاّ أنّه سلّم بأن كل شيء خلقه الله حكمة قد يصعب فهمها وإدراكها، لأنّها أبعد من أن يصل إليها سلطانه أو أن تخضع لقانونه البشري، وهذه ميزة فلسفية علمية، تضعه خارج عصره وتقريبه من الفلاسفة العقلانيين النهضويين⁶⁷، فالمعري هنا يؤمن بأنّ لهذا الكون خالق عظيم خلق الإنسان في أحسن تقويم وخلق لكل شيء نظامه وقوامه، كما له أبيات كثيرة وضح فيها ارتباط العقل بالشك وسنقسمها إلى ثلاثة أقسام وهي:

أ: الشك في العقل:

أمر يلتبس على البرايا أشعر أن العقل يصحب تارة وينفر أخرى، وهو غير عليم⁶⁹

وتطعمه صابا فيحسبه شهرا والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

أقصى اجتهادي أن أظن وأحدسا⁷⁰ كأن الظن علام الغيوب⁷¹

أمور يلتبس على البرايا أشعر أن العقل يصحب تارة ب: الشك في الحواس:

تربة الدجي في هيئة النور، خدعة والنجم تستصغر الأبصار صورته

ج: الإعتدال على الظن والحدس: أمّا اليقين فلا يقين وإنّما يحدثك الظنون بما تلاقى

ويتضح لنا من ارتباط العقل بالشك عند المعري مايلي:

-لم يبتدع المعري الشك، فقد كانت له جذور فلسفية وأدبية قديمة.

-لم يكن شك المعري إنكاراً وعدم اعتقاد وإلحاد في الدين، فهو لم يكن منكراً للدين جاحداً به، ولم يكن شكه ابستمولوجياً، وهو الشك الذي يجعل صاحبه عاجزاً عن إدراك أي حقيقة مهما كانت بسيطة.

-الشك الذي ينتمي إليه المعري هو الشك المنهجي حيث يجعله منهجاً للتفكير ليخلص عقله من

62 - سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص150.

63 - ينظر: كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، دراسة تحليلية لظاهرة الاغتراب، دار المطبوعات الجامعية الإسكندرية، 2008، ص161.

64 - خليل شرف الدين، أبو العلاء المعري، مبصرين عريان، ص145.

65 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص283.

66 - أبو العلاء المعري، المرجع نفسه، ج01، ص94.

67 - ينظر: خليل شرف الدين، المرجع نفسه، ص143.

68 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج02، ص383.

69 - المرجع نفسه، ص444.

70 - المرجع نفسه، ص36.

71 - أبو العلاء المعري، المرجع نفسه، ج01، ص164.

الزيف والخداع ولم يكن هذا شكاً هداماً بل بناءً.
-لم يكن شك المعري مقصوراً على الحس بل كان في العقل أيضاً لأن هذا العقل لم يستطع أن
يصل به الى معرفة الغيبات والميتافيزيقيات.
-لم يكن شك المعري شكاً سوفسطائياً فهذا الأخير شكا هداماً أكثر منه بناءً يسعى للبناء والتقدم.

الفصل الثاني: الدين

1. تعريف الدين

أ. لغة

ب. اصطلاحاً

2. الدين عند المعري

3. دين المعري بين الإيمان والكفر

1-3 التشكيك في عقيدة المعري وديانته

2-3 إثبات براءة المعري.

- تعريف الدين:

أ- لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور في باب النون، فصل الدال، دين: الديانُ: من أسماء الله عزَّ وجل معناه الحكم القاضي، وسئل بعض السلف عن علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: كان ديانُ هذه الأمة بعد بنيتها، أي قاضيها وحاكمها.

والديان: القهارُ، ومنه قول ذي الأصبع العدوانى: لاه ابن عمك لا أفصلت في حسب فينا ولا أنت ديانى
أي لست بقاهري فتسوس أمرى⁷².!فتخزوني

والديانُ: واحد الديون، وكل شيء غير حاضر ديانُ.

دِنَّهُ: أقرضته، ودان: هو أخذ الديانُ. وقيل الدين المصدر، والدينُ الإسم قال، وفي المثل: كما تدين تُدان، أي كما تجازي تجازى، ويوم الدين: يوم الجزاء⁷³، والدين الجزاء والمكافأة.

الدين: الذل.

72 - أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1997، ص338.

73 - موسى بن محمد بن موسى بن يوسف الفليني، معجم الألفاظ القرآنية و معانيها، تح محمد محمد داود، مكتبة الآداب للنشر و التوزيع، ط 1 ، 2002، ص 200.

الدِّين: الحال.

الدِّين: القهر، الدِّين: ما يتدين به الرَّجل.

والدِّين: السلطان، والدين الطاعة، والدين الورع⁷⁴.

هكذا وإن تعددت مدلولات لفظة "دين" إلاَّ أنَّ معنى القرص يبقى من أهم التعاريف والمدلولات فمرة يكون معنى الطاعة ومرة المكافأة والجزاء، ومرة نجد معنى الحال. فلكل مقام مقال.

ب- **إصطلاحاً:** هو العادة والشأن، تقول العرب: مازال ذلك ديني أي عادتي والدين الإسلام وقد دُنْتُ به⁷⁵، وجاء في الحديث، في حديث علي عليه السَّلام: محبة العلماء دين يُدانُ به، وفي حديث أبي طالب: قال له عليه السَّلام: أريد من قریش كلمة تدين لهم بها العرب، أي تطيعهم وتخضع لهم. وقول ابن الأعرابي في الحديث: أتَّه عليه السَّلام كان على دين قومه.

وفي حديث الحج: كانت قریش ومن دان بدينهم أي إتبعهم في دينهم ووافقهم عليه، واتخذ دينهم له دينا وعبادة، وفي حديث السفر: إستدوع الله دينك وأمانتك⁷⁶.

وفي الحديث النبوي الشريف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "يمرقون من الدين" أراد بالدين الطاعة، أي أنَّهم يخرجون من طاعة الإمام المفترض وينسلخون منها، ومنه قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيَمَةُ ﴾⁷⁷ أي ذلك الحساب الصحيح، والعدد المستوي والدين الطاعة، وأيضا قوله تعالى: ﴿ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ ﴾⁷⁸ وقيل معناه مالك يوم الجزاء.

2- الدين عند المعري:

إذا سمع الناس أبا العلاء، لم يفهموا إلاَّ رجلا ملحدا، فإذا سألتهم عن علَّة إلحاده، وعمَّا أخرجه من الدين وحشره في الملحدين، رَوَوْ لك أبياتا في اللزوميات تنطق بإنكار الشرائع، والغض من الأنبياء وهذا القدر هو كل ما عرف الناس عن فلسفة أبي العلاء⁷⁹، فمنهم من وصفه بحسن العقيدة والدين، ومنهم من نسبه إلى الإلحاد والضلال والزندقة، منطلقين في ذلك من رصيده الأدبي المفعم بأرائه عن التصريح أحيانا والتلميح إليها أحيانا أخرى.

وما زال المعري مَحَلَّ الإهتمام ومثار الأقاويل ونقطة جدال دارت طوال هذه المدة ومازالت إلى يومنا هذا، فكان دين أبي العلاء وعقيدته بوجه أخص موضع حديث أهل زمانه ومعاصريه وموضع لإختلاف زماننا فيه، فكل الكتب التي تناولت أبا العلاء المعري تعرّضت لدينه وعقيدته: "ولم تتفق كلمتهم على جعل أبي العلاء يدين بدين واحد وإنَّما جعلوه نهيا مقسما بين الملل والنحل وألحقه كل واحد منهم بما شاء وشاء هواه، فجعلوه برهميا، ومزدكيا، وملحدا، وكافرا، ومُعْطِلا، ودَهْرِيَا، وَقَرْمَطِيَا، وشيعيَا، دَرْزِيَا، وتَقِيَا"⁸⁰، أمَّا الدين عند المعري على وجهيتين:

74 - أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، نفسه، ص340.

75 - المرجع نفسه، ص339.

76 - المرجع نفسه، ص339-340.

77 - الآية 05 من سورة البينة.

78 - الآية 04 من سورة الفاتحة.

79 - ينظر: طه حسين، أبو العلاء المعري، ص252.

80 - عبد المجيد دياب أبو العلاء، المعري الزاهد المفترى عليه، المكتبة الثقافية، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، د ط، 1986، ص130-131.

الأول وصفي: أي نظام بشري قائم على مراسم وفرائض وهذا الباب للإختلاف بين الناس ولنشأة التحزب والتنافر بينهم وسفك الدماء والتباغض⁸¹، وفي ذلك يقول:

إن الشرائع ألفت بيننا إحنا وأودعتنا أفاسن العدوات⁸²

والثاني روحي عملي وهو رياضة النفس على عمل الخير والتمسك بالفضيلة، أمّا الفكر الديني عند المعري يتسم بسمتين هما:

1- أنه غالباً ما كان يتصدى بالعقل مجرداً فينخذه مقياساً لفظياً هي بطبيعتها فوق ذلك العقل ومن ثم كان التعامل معها لا من خلال قدرات العقل بل عبر تألقات الوجدان⁸³.

2- أنه تبعاً لذلك لم يستطع أن ينفذ بالعقل وحده إلى جوهر الدين من حيث هو، كما أنه غالباً ما كان يأخذ الأديان بتزايد وتفسيرات ليست من حقيقتها وإنما هي من وضع أشباه الفقهاء والرهبان⁸⁴.

وكما أسلفنا الذكر أنّ أبا العلاء قد أُتِّهَمَ في دينه ورَمَوْهُ بالإلحاد ومن أولئك نذكر: (ابن الجوزي): الذي صنّفه في كتابه "تلبيس إبليس" ضمن زنادقة الإسلام، وقال في تاريخه زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الرواندي وأبو حيان التوحيدي وأبو العلاء⁸⁵، وياقوت الحموي و ابن الصفي وغيرهم ممن أجمعوا على كفر الرّجل وزندقته، وإن اختلفت عندهم الأسباب التي أدت إلى ذلك وتعددت والتي من أشدها الحقد والحسد من أعدائه، والتشدد في الدين من خصومه والطموح إلى الظهور على أكتافه والولوع بالأغراب على حسابها، وفي المقابل ذهب آخرون إلى أنّه صحيح العقيدة كأبي الحسن الهكاري وابن العديم صاحب "الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتحري عن أبي العلاء المعري" وكذلك نجد السلفي⁸⁶.

كما نقلت عن أبي العلاء روايات عديدة تؤكد ما قيل عنه في تمرده على الدين وسوء معتقده، ومنها ما نقل عن تلميذه (أبي زكرياء البريزي)، حيث نقل هذا الأخير بعد حديث جمعه مع المعري مرة ما يلي: قال لي المعري: ما الذي تعتقده؟، فقلت في نفسي: "اليوم أف على إعتقاده، فقلت له: ما أنا إلا شاك"، فقال "وهكذا شيخك"⁸⁷، ومما روي عن زندقته وحيرته، أنّ القاضي (المنازي) دخل عليه فذكر ما يسمعه من الطعن فيه، ثم قال: "مالي والناس، وقد تركت دنياهم"، فقال المنازي: "وأخراهم أيضاً"، فقال: "يا قاضي، وأخراهم أيضاً" وأخذ يكررها⁸⁸.

وكذلك نجد ما نقله ياقوت الحموي عن "رسالة الغفران"، في أنّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لما أجلي أهل الذمة عن جزيرة العرب، شق ذلك على الجالين فيقال إن رجلاً من يهود خيبر يعرف بسمير بن أدكي قال في ذلك:

يصول أبو الحفص علينا بدرة رويدك إن المرء يطفو ويرسب

كأنك لم تتبع حمولة ماقط لتشيع إن الزاد شيء محبب

81 - سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص 207.

82 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 1، ص 228.

83 - سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص 208.

84 - المرجع نفسه، ص 209.

85 - عبد العزيز الميمني الرّاجكوني الأثري الهندي، المعري وما إليه، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2003، ص 216.

86 - ينظر: أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار الملايين، بيروت، د/ط، ص 399.

87 - أنيس المقدسي، المرجع نفسه، ص 153.

88 - المرجع نفسه، ص 154.

فلو كان موسى صادق ماظهرتم علينا، ولكن دولة ثم تذهب
ونحن سبقتناكم إلى اليمين فأعرفوا لنا رتبة البادي الذي هو أكذب

ثم قال (ياقوت): "وهذا يشبه أن يكون شعره (شعر أبي العلاء) قد نحلّه هذا اليهودي أو أنّ إبراده لمثل هذا، وإستلذّاه به من أمرات سوء عقيدته وقبح مذهبه"⁸⁹، أمّا فيما يتعلق بهجائه الأنبياء، نقل القاضي القزويني أيضاً، أنّ المعري قال مرة: >> "لم أهجُ أحداً قط"، فقال القاضي: "إلاّ الأنبياء عليهم السّلام". فتغيّر وجهه <<⁹⁰.

كل هذه الروايات تضمّنت أحاديث وتصريحات تُلّفظ بها أبو العلاء وهي أن تنبئ بشيء، إنما تنبئ بسوء عقيدته ودينه، إضافة إلى ما سبق عرضه من مواقف مشهود عليها من قبله هو شخصياً، وذلك من خلال تأكيد عليها في شعره، ومن قبل من عاصره ورآه، وهي في الحاليتين تؤكد زندقته إذا وقفنا عندها فحسب، طيلة عمره، وهذا لا يجوز فعله.

3- دين المعري بين الإيمان والكفر:

3-1 التشكيك في عقيدة المعري وديانته:

كما أسلفنا الذكر أنّ أبا العلاء كان موضع إتهام من قبل الكثيرين وكانت تلك الإتهامات التي إتهم بها، نتيجة لمواقفه العديدة والتي فتحت الأبواب على مصرعيها للكثيرين بتلحيده وتصنيفه ضمن قائمة الزنادقة في العالم العربي، ونستدل بذلك من خلال بعض مواقفه التمردية الواضحة في كل مؤلفاته بما في ذلك اللزوميات والفصول والغايات.

1- عن قصة الخطيئة الأولى:

إرتبطت قضية الخطيئة الأولى بسيدنا آدم الذي كان كما يفهم حرفياً من النصوص الدينية، يعيش في جنة وراء المدرك أو المحسوس وبناء على عصيانه لأمر إلهي، طُرد من جنته تلك، إلى الأرض ليكدح فيها ما شاء له الله أن يكدح ثم يؤوب إليه في النهاية ليجد عنده الجزاء الأوفى. ويبدو أنّ أبا العلاء لم يكن مستريحاً للمعنى الحرفي للنص الديني، بل كان أقرب ما يكون إلى معناه الرمزي، ومن ثم جاءت فكرة التعدد والتتابع ومع التتابع لا محال هناك حديث عن جنة وراء الإدراك كان يعيش فيها أبو البشرية، أو خطيئة جاءت به إلى كوكب الأرض على حالة لا تخلو من نبذ⁹¹، فقد وصل به الأمر إلى درجة لومه لسيدنا آدم عليه السّلام على أكله من الشجرة وتسببه في أدى ذريته في الدنيا بخروجه من الجنة فيقول:

سقى آدم جدّ البشرية في أدى لذريته في ظهره تشبه الدّرا

كلا الناس في النكراء نهج أبيهم وعر نبوه في الحياة كما غرّا⁹²

فالمعري يرى أنّ آدم عليه السّلام هو من تسبب في إيذاء ذريته، فأصل خراب الإنسان هو آدم وحواء حيث قال:

كأن حواء التي زوجها آدم لم تلفح بشخص أريب⁹³

89 - أنيس المقدسي، أمراء الشعر في العصر العباسي، ص155.

90 - طه حسين، تعريف القدماء بأبي العلاء، السفر الأول، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، عام 1965، ص77.

91 - زيدان عبد القادر، قضايا العصر في أدب أبي العلاء، ج1، ص206.

92 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص26.

93 - المرجع نفسه، ص129.

والملاحظ أنّ الرّفص الضمني الذي ذهب إليه أبو العلاء لقصة الخطيئة الأولى كما جاءت في النصوص الدينية، على الرغم من إختلاف التناول القرآني لها في العهد القديم، لم يحل بين أبي العلاء وبين إستغلاله لهذه الفكرة في هجوه وسخريته من الجنس البشري، أو إتخاذها مدخلا لمناوشة ما وراء صاحب القصة من روايات قد نسجت، لم تجد عند أبي العلاء ما وجدته عند الرواة من قبول⁹⁴، ومن هنا نجد أنّ أبا العلاء قد تلقى قضية الهبوط بما فيها من معصية إقترفها آدم في مواجهة الأمر الإلهي، وكيف كان عقابه تبعاً لهذا العصيان ومع شكله الذي يبلغ أحياناً كثيرة مبلغ الرّفص لكل ما يروي من أخبار إلا أنه جعل من هذه المعصية المزعومة منطلقاً لهجومه الشرس على سلوكيات الإنسان وأخلاقه في عصره وإرجاع ذلك كله، والنظر إليه كميراث طبيعي لمعصية سلفت وإرتبطت بجده الأول منذ البدء⁹⁵ فتراه يقول:

دع آدم لا شفاه الله من هبل يبكي على نجله المقتول هابيلاً

وفي عقاب الذي أبداه من خطأ ظلنا نمارس من سقم عقابيلاً⁹⁶

وقد نصف عن وصف أبي العلاء لآدم بالعبط أو الهبل أو بعدم الحكمة والتجربة كما يقول:

كأن حواء التي زوجها آدم لم تلفح بشخص أريب⁹⁷

ويبدو أنّ أبا العلاء لم يشأ أن يترك آدم حتى يهدأ في مستقره، ولم يكفه ما قاله من هجاء مر وسخرية لاذعة لأبي البشرية، فله حديث آخر لا بد من إجرائه معه حتى ولو في الآخرة، ولكن الحديث هذه المرة ليس عن المعصية التي إقترفها وورثها عنه بنوه، إنما عن المعصية التي إرتكبها بنوه في حقه هو وحق أنفسهم، ومن المعروف أنّ أبا العلاء كان يهتم الأخبار، ولا يصدقها إلا إذا أيدها عقله، مهما كان مصدرها، ومهما أيدتها صحة الرواية ونصوص الدين، لذلك شك في أب الإنسان الأول فقال:

حائر أن يكون آدم هذا قبله آدم على إثر آدم⁹⁸

ثم جزم بذلك وقال:

وما آدم في مذهب العقل واحد ولكنه عند القياس أوايم⁹⁹

فظن أنّ آدم إنّما هو شخص من أشخاص الأساطير فقال:

قال قوم ولا أدين بما قا لوه إن ابن آدم كابن عربس

جهل الناس ما أبوه على الدهر ولكنه مسمى بحرس

في حديث رواه قوم لقوم رهن طرس مستسخ بعد طرس¹⁰⁰

2- تمرد المعري عن الإنسان:

يرى المعري أنّ الإنسان قد وُلد مفطوراً على الدنس، ودنسه هذا باق فيه أبد الدهر، ولذلك، فإن الفساد منتشر في الناس ويمكن منهم منذ الأزل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالشّر ليس دخيلاً على

94 - ينظر: زيدان عبد القادر، المرجع نفسه، ج1، ص206-207.

95 - المرجع نفسه، ص208.

96 - المرجع نفسه، ص210.

97 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص129.

98 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج2، ص488.

99 - المرجع نفسه، ص390.

100 - المرجع نفسه، ص66.

القلوب البشرية، وليس بالأمر المكتسب، بل هو من صميم نشأتها بداية بآدم عليه السلام، ولذلك فلا يُرجى غير هذا من الذرية جمعاء ويقول:

أكان أبوكم آدم في الذي أتى نجيباً فترجون النجاية للنسل 101

وقد وصل المعري بشدة نقمته على الإنسان وكرهه له، وتحبيذه عدم وجوده إلى تمنيه لو أن آدم طلق حواء قبل الإنجاب أو كان قد حرم على نفسه مضاجعتها حتى لا يولد إنسان دنس تفتقد فيه الطهارة والأطهار، وفي هذا المنوال يقول:

يا ليت آدم طلق حواء أمهم أو كان حرماً عليه ظهر

ولدتهم في غير طهر عاركا فذلك تفقد فيهم الأطهار 102

3- موقفه من البعث:

لا يشك أصحاب الديانات في البعث، ولا يمتري المسلمون في حشر الأجسام بذلك نطق القرآن الكريم في كثير من آياته، أما الفلاسفة الماديون فينكرون جملة، وأما الفلاسفة الإلهيون من اليونان ولاسيما الأفلاطونية فينكرون حشر الأجسام، ولا يؤمنون ببعث الأرواح كما نفهمه نحن في الدين، ولكنهم يقولون بخلود الروح، وأنها تنتقل بعد الموت إلى عالمها العقلي فتشقى أو تسعد بتذكار ما صنعت في الحياة، ولا بد عندهم من أن تعود صفائها بعد المحنة، فلما نقل هذا المذهب إلى المسلمين، صبغوه الفلاسفة منهم صبغة الإسلام فسموا رجوع الروح إلى عالمها العقلي بعثاً، أما أبو العلاء فقد اضطرب رأيه في البعث اضطراباً شديداً فمرة أثبتته¹⁰³ فقال:

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الأجسام قلت إيكما

إن كان رأيكما فلست بخاسر أو صحّ قولي فالخاسر عليكما 104

وتارة ينكره نصاً فقال:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحقّ لسكان البسيطة أن يبكوا

تحطمتنا الأيام حتى كأننا زجاجٌ ولكن لا يعادله سبك 105

فقد قال الأستاذ "الخليل الشيخ محمد المهدي" في محاضراته التي ألقاها عن أبي العلاء بالجامعة: "أنّ أبا العلاء قد ذهب مذهب التشبه القديم الذي ذكره الشاعر في قوله:

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاج كسرهما لا يجبر

فأبوا العلاء يريد أن يقول إن الزجاج إذا تحطم لا يلتئم، فأما الأجسام فإنها تلتئم بعد البلى وهذا كله يدل على أن أبا العلاء ينكر الحشر".

101 - المرجع نفسه، ص222.

102 - المرجع نفسه، ص313.

103 - ينظر: طه حسين، أبو العلاء المعري، ص300.

104 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج2، ص433.

105 - المرجع نفسه، ص300.

4- إنكاره لبعض الشرائع الإسلامية:

فمن الإتهامات التي وجهت إلى أبي العلاء، ذهاب البعض إلى القول بأن أبا العلاء كان ينكر بعض أحكام الشرع الذي جاء به دستور الإسلام الأكبر: القرآن الكريم.

وقد علقت هذه التهمة بأبي العلاء ودار بها الزمان ، حتى إذا جئنا مطلع القرن العشرين، إذا بنا نجد أحد الرواد الأوائل، يتلقى هذا الإتهام ويضمنه بحثه القيم عن أبي العلاء بلا محاولة تذكر فيقول: ولكنه مع ذلك لم يمتنع عن إنكار شيء من أحكام الشريعة والإعتراض عليها، فقال في إنكار الدية وقطع يد السارق¹⁰⁶:

يد بخمس مين عسجد ودي ما بالها قطعت في ربع دينار

تناقض ماننا إلا السكوت له وأن نعوذ بمولانا من النار¹⁰⁷

كما عبر المعري عن نفوره وإزدرائه لفريضة الحج فنجده يقول:

أقيمي لا أعدّ الحج فرضا على عجز النساء ولا الغبارى¹⁰⁸

كما نجده ينكر الدفن ويحرض على إحراق جثمان الميت بدل دفنه إذ أنه ينتقد المسلمين لما يمارسونه على الميت من غسل ودفن مفضلاً على ذلك، الإحراق لأنه يطهر الجثمان أحسن من الماء والكافور ويقول:

إن حرقوه فما يخشون من ضبع تسرى إليه ولا حقي تطريح

والنار أطيّب من كافور ميتا عبا وأذهب للنكراء والريح¹⁰⁹

وقال في إنكار ما في القرآن الكريم من تقسيم فرائض الميراث:

حيران أنت فأبي الناس تتبع تجري الحظوظ وكل جاهل طيع

والأم بالسدس عادت وهي أرأف من بنت لها النصف أو عرس لها الربع¹¹⁰

وإنطلاقاً من كل هذه المواقف التمردية فالمعري ينتقد الشرائع الإسلامية ولا يجد حرجاً في ذلك.

5- موقفه من الجن والملائكة:

أبو العلاء أنكر الجن والملائكة في اللزوميات نفاً فقال:

قد عشت عمرا طويلا ما علمتُ به جيشا يحسن لجني ولا ملك¹¹¹

وقال:

فاخش الملك ولا توجد على رهب إن أنت بالجن في الظلماء خُشيتا

فإنما تلك أخبارٌ ملفقةٌ لخدعة الغافل الخشوي خُوشيتا¹¹²

¹⁰⁶ - ينظر: عبد القادر زيدان، قضايا العصر في أدب أبي العلاء، ج1، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، ط1، عام 2004، ص213.

¹⁰⁷ - أبو العلاء المعري، المرجع نفسه، ص544.

¹⁰⁸ - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص39.

¹⁰⁹ - المرجع نفسه، ص55.

¹¹⁰ - المرجع نفسه، ج2، ص123.

¹¹¹ - المرجع نفسه، ص167.

ورسالة الغفران مملوءة بالسخرية المؤلمة من الجن والملائكة جميعا وقد قدمنا أنه نظم الشعر في رسالة الغفران على ألسنة الجن الذين دخلوا الجنة فقال، وإنما يريد الهزء والسخرية:

مكة أقوت من بني الدردبيس فما لجني بها من حسيس 113

6- تمرد المعري على النبوات:

أبو العلاء كان منكرًا للنبوات، جاحدًا لصحتها، وقد نصَّ على ذلك في اللزوميات صراحة غير مرّة، فطوّراً يثبت أنها زورٌ، وطوّراً يجعلها مصدر الشرور وأفتن في ذلك إفتنانا عجيبيًا، فلم يكتف بإنكار النبوات حتى أنكر الديانات عامة، وزعم أنها للعقل مخالفة، وعن شرعته صادفة يسلك في ذلك مسلك الثورية مرة، والتصريح مرة أخرى¹¹⁴، فيقول:

إن الشرائع ألفت بيننا إحنا وأورثتنا أفاعين العداوات
وهل أبيحت نساء الروم عن عرض للعرب إلا بأحكام النبوات 115

ويقول:

هفت الخيفة والنصاري ما إهدت ويهود حازت والمجوس مضلّة
إثنان أهل الأرض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له 116

ويقول في التعريض بالنبي صلى الله عليه وسلم:

ولست أقول إن الشهب يومًا لبعث محمد جعلت رجوما 117

ومثل هذا كثير مثبت في اللزوميات، لم نشأ أن نسرف في روايته إتقاء الإطالة وخشية الإملال، وهو يدل على أن روح الرّجل لم يكن روح مؤمن بالنبوات ولا مصدّق للأنبياء.

لم يختر المعري الخروج على الأنبياء، وإنما تلك عقيدة لزمته كارها الأسباب ما نظن أنها خفية أو غامضة، فقد بيّن أن الحياة الدينية كانت في عصر أبي العلاء سيئة شديدة القبح، وكذلك الحياة الخلقية وغيرها من ألوان الحياة العامة، كما أن الحياة الخاصة لأبي العلاء كانت مملوءة بالهموم والأحزان، فهو قد قرأ فلسفة اليونان والهنود وهم لا يؤمنون بالنبوات، ولا يعترفون بالأنبياء، غير أن الخطأ الذي وقع فيه كارها من غير شك، هو أنّه حمل على الدين ذنب أهله، وعاب الشرائع بآثام أصحابها¹¹⁸، فالمعري على ذمّه للأديان وسخطه عليها، قد مدح الإسلام خاصة، فضله على الأديان عامة فقال:

وإن لحق الإسلام خطبًا بغضه فما وجدت مثلاً له نفس واجد 119

يرى أبا العلاء أنّ الدين كلّ كذب ورياء وحب الكسب أو حده، وطلب النّفع أبقى عليه، وسلطان التقليد مكن له النفوس، وهذا ما يؤكد التباين بين الأديان والتقليد في إعتناقها، والعداء والنفاق بين أهلها وما في قرارة العقل من إنكارها، إن موقفه التمردى على الدين، لم يقف عند إنكاره لبعض الأحكام وللنبوات والرّسل، بل

112 - المرجع نفسه، ج1، ص215.

113 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص203.

114 - طه حسين، أبو العلاء المعري، ص295.

115 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص154.

116 - المرجع نفسه، ج2، ص301.

117 - المرجع نفسه، ص431.

118 - ينظر: طه حسين، أبو العلاء المعري، ص297.

119 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص364.

إنه هاجم بعض الأفكار والإعتقادات الدينية كفكرة المهدي المنتظر إذ أنه يهاجم هذه الفكرة بعد أن استحوذت على العقول وراح يعتقد بها الخاص والعالم¹²⁰.

7- عن الزمان والمكان:

تناول المعري بعض مواقف من الله عز وجل خاصة في اللزوميات بحيث رفض فكرة الأزمان والأمكن الإلهية فمع قناعته بوجود الله أو إله حكيم مسير لهذا الكون فإنه لا يمكن له أن يرضى بقبول شيء لا يحدده زمان ولا مكان حيث يقول:

قلتم لنا خالقٌ حكيم قلنا صدقتم كذا نقولُ

زعمتموه بلا مكان ولا زمان إلا فقولوا

هذا الكلام له خبيء معناه ليست لنا عقول¹²¹

وإنطلاقاً من هذه الأبيات فالمعري لم يستطع أن يتصور وجوداً خارج الزمان والمكان، فجزم بأن الله في زمان ومكان وزعم أنه من خالف ذلك فليس له عقل، فالزمان عند المعري موجود قبل وجود الفلك، إن صح أن يسبق الفلك بوجوده، لأن أبا العلاء يرى قدمه، وإنما يريد بالزمان مجرد الإستمرار ذي الصور الواحدة الذي لا ينقسم إلى ليل ولا نهار، ولا يقاس بشهر ولا عام، ولا تختلف فيه الفصول من حرّ وبرد، ومن خريف وربيع¹²².

أما المكان فلا شك في أن أبا العلاء لا يريد معني من هذه المعاني الضيقة التي ذكرها المتكلمون والفلاسفة، فإن المكان عند هؤلاء لا يمكن أن يتجاوز العالم، ومن ثم اختلفوا في إمكان الخلاء في هذا العالم وإستحالته، وإتفقوا على إمكانه خارجه، وقد عرف أن أبا العلاء، يرى عدم تناهي الأبعاد، وإذا فهو لا يرى للعالم داخلياً وخارجاً كما زعم الفلاسفة والمتكلمون، وإذا لم يكن للعالم عند أبي العلاء حد، ولا نهاية، فلا شك في أنه لا يستطيع أن يتصور وجود الله خارج هذا العالم¹²³، ومن هنا فقد تنزه الله عن الزمان والمكان، لأن فيهما تحديدا لذاته من جهة وتسليطاً للإمكان عليها من جهة أخرى، فإذا فهمنا الزمان والمكان كما فهمها أبو العلاء، لم نر عليه بأساً من أن يعتقد أن الله مقارن لها، وليس ينبغي أن يتهم رجل قال ذلك بالكفر، فإنه لم يقصر في تنزيه الله وإنما ينبغي أن يناقش في إثبات ما ذهب إليه من رأيه الخاص في الزمان والمكان، فإن صح له هذا الرأي فقد صحت له عقيدته، وإن لم يصح فقد كان الرجل مخطئاً في تصوره وعلى هذا الخطأ في التصور قام خطأؤه في الإعتقاد، وليلاحظ القارئ أن مكاننا في البحث إنما هو مكان المؤرخ ليس غير فنحن نحكي رأي أبي العلاء، ونقارن بينه وبين غيره من آراء القدماء والمحدثين، وقد ظهر لنا الآن أنه يوافق المسلمين في فقه التوحيد، وإن خالفهم في ظواهر ألفاظه وعلى هذه العقيدة التي قررها أبو العلاء في الزمان ذكر في بيت واحد قدم الله وقدم الزمان معاً¹²⁴ فقال:

خالقٌ لا يشكُّ فيه قديمٌ وزمانٌ على الأنام تقادم¹²⁵

وجعلهما قديمين، ولكنه أثر الأدب والتنزيه، فقيد قدم الزمان بكونه مضافاً إلى الأنام، وظن أنه بهذا التكلف والتحيل يستطيع أن يلهينا عن روحه الفلسفي، ولكنه لم يستطع ذلك، إذا اضطر إلى الإشارة إلى قدم العالم، بل إلى قدم النوع الإستثنائي نفسه كما أسلفنا ذكر قوله:

120 - يوحنا قمير، فلاسفة العرب: أبو العلاء المعري، دار المشرق، بيروت، 1986، ص29.

121 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج2، ط2، ص189.

122 - ينظر: طه حسين، أبو العلاء المعري، ص283.

123 - طه حسين، أبو العلاء المعري، ص284.

124 - ينظر: طه حسين، أبو العلاء المعري، ص285.

125 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج2، ص479.

8- عن التناسخ:

عرف أبو العلاء المعري التناسخ ودرسه، وأشار إليه في سقط الزند وفي الرسائل واللزوميات ورسالة الغفران، والتناسخ معروف عند العرب منذ أواخر القرن الأول، والشيعنة تدين به و ببعض المذاهب التي تقرب من كالحلول والرجعة، وليس بين أهل الأدب من يجهل ما كان من سخافات السيد الحميري وكثير من ذلك، ولما ترجم كتاب كليلة ودمنة، وفيه قصة "الناسك والفأرة" وهي قصة تمثل مذهب الهنود في التناسخ، شاعت بين الناس حتى نظمت في الشعر فروى أبو العلاء في رسالة الغفران بيتين نسبهما إلى بعض النصيرية¹²⁷ فقال:

أعجبي أمنا لصرف الليالي جعلت أختنا سكيئة فارة

فأزجري هذه السنائير عنها وأتركها وما تضمم الغرارة¹²⁸

ثم كثر علم العرب بهذا المذهب وغيره من مذاهب الهند، حيث إشتدت الصلة بينها وبين بلاد المسلمين، على يد محمود بن سبكتين، كما قدمنا فكان الناس يتخذون من أخبار الهند، وعجائب دينهم طرائف يتندرون بها في المجالس، ويتفكهون بها في الأسفار، كما ترى ذلك في رسالة الغفران، غير أن أبا العلاء لم ير التناسخ ولم يرضه، بل ذمه وشتعه في رسالة الغفران وفي اللزوميات¹²⁹ فقال:

يقولون إن الجسم يُنقل روحه إلى غيره حتى يهذبهُ النقلُ

فلا تقبلن ما يُجبرونك ضلّةً إذا لم يؤيد ما أتوك به العقل¹³⁰

والظاهر أن عقل أبي العلاء لم يؤيد التناسخ، فرفضه وأعرض عنه.

3-2 إثبات براءة المعري:

إذا لم يكن بوسعنا تجاهل أو تجاوز الغموض والوهمية التي إتسم بها أدب المعري والتي تنتج بابا للأخذ والرد والزيادة في معظم الحالات، من قبل ذوي النفوس الضعيفة، فإنه بالمقابل لا يمكننا إنكار أبيات أخرى له، فبكثرتها وصراحتها، فإنها تشهد لقائلها "بحسن المعتقد وقوة الإيمان فلماذا لا يلتفت الخصم إليها ويأبى إلا التمسك بالأبيات التي يعترها الغموض، أو يحتاج تفهمها على حقيقتها إلى علم أبي العلاء ودرأيته"¹³¹، ولا شك في أنه كان لعلم أبي العلاء الواسع الذي عرف به وذكائه الفذ الدور الكبير والفعال في إيقاظ غيرة ضعاف أبناء عصره وغيره ممن خاصموه وشنوا عليه حرباً. متهمين إياه بالكفر والإلحاد والزندقة معتمدين في ذلك على آرائه الفذة التي طبعت شعره ونثره، مغتتمين فرصة الغموض الذي يعترى بعضه، ليفتحوا باب التأويل لصالحهم. فلذلك يجب مراعاة كل الظروف النفسية والبيئية أثناء قراءتنا شعر الرجل حتى لا يقع القارئ منا فيما وقع فيه الكثيرون ممن رمزه بالإلحاد ظلماً، سواء عن عمد أو من سوء فهم، وذلك بعزله عن ظروف حياته وعصره، فالكثير من الدراسات عالجت فكر المعري في آثاره "ولم تقف عند ظروف هذا الفكر تستوحيها، وتتخذ منها أقياساً، فأنت جائزة النتائج وغير صادقة أيضاً"¹³²، وهذا ما يجب تفاديه، فلو تمعن القارئ لشعر المعري وربطه بزمناه ونقب فيه، لعرف أن الكثير

126 - المرجع نفسه، ص488.

127 - ينظر: طه حسين، المرجع نفسه، ص293.

128 - أبو العلاء المعري، المرجع نفسه، ص378.

129 - ينظر: طه حسين، المرجع نفسه، ص294.

130 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج2، ص259.

131 - عبد المجيد دياب، أبو العلاء المعري الزاهد المفترى عليه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1986، ص145.

132 - عبد الله العلابي، المعري ذلك المجهول، دار الجديد، ط3، 1995، ص25.

مما وصلنا منه إنما مردّه النفس الحائرة للرجل، لا النَّفس الملحده، وشتان بين الأمرين، إذ أنّ الحائر يبحث، ويفكر، ويوازن، بينما الملحد يبني نتيجة معيّنة على قاعدة من الإستقرار العقلي، أدت به إلى تلك النتيجة الخاسرة، كما يظهر لنا جليا في شعره ونثره أنّه حائر شك.

كما كانت عزلة أبي العلاء وانطوائه مدخلا لضعاف النفوس، الذين إغتنموا فرصة إنزوائه بعيدا عن الحياة الإجتماعية، ليتمكن لهم الوضع عليه من الأشعار والأخبار، ما يدينه في ملته ويؤكد كفره، وكل ذلك ظلما وبهتاناً ممن يكن الحقد والغل والغيرة لأبي العلاء ولا يبرد نار غيرتهم هذه إلا تشويه سمعته بتكفيره وتلحيده، وتؤكد هذا (نبت الشاطئي) فيما قالته في أسباب تلحيد المعري ورميه بالزندقة "إن أبا العلاء كان نمطا فريدا لا عهد لتلك العصور بمثله، ومن ثم بقي غريبا لأنه ليس من أهلها، حيث يقول:

أولو الفضل في أوطانهم غرباء تشذ وتنهف عنهم القرباء 133

لقد رفض المعري الطبيعة الشريرة التي طبعت أهل عصره، وكان دائما ضد التيار، "ولكن المصيبة والمأساة عند أبي العلاء أنّه شاعر وأنّه حساس ... وأنّه ذو عقل ... وأنّه في قرن لا عقل له ولا دين ..."¹³⁴، وهذا ما جعل رصيده من الأبيات الموضوعية عليه، والروايات المحبوكة ضده في تزايد مستمر، فهناك الكثير من الأشعار، إتخذت ذريعة لرمي المعري بالإلحاد، بينما هي أشعار موضوعية، وقد تصدى بعض النقاد والأدباء لها وإستطاعوا إثبات وضعها على المعري، وبرأته منها، على نحو ما فعلته لجنة مكونة من مجموعة أساتذة قامت بتأليف كتاب تحت عنوان "تعريف القدماء بأبي العلاء" تنص فيه على الكثير من الأشعار المنسوبة لأبي العلاء، مما لم يرد في دواوينه: "لزوم مالا يلزم" و"سقط الزند"، أشعار يظهر فيها التجرؤ على العقيدة الأمر الذي يؤكد أن واضعي هذه الأشعار إنما أرادوا بها الحط من مكانة المعري عن طريق النيل من دينه بإعتباره أكثر الأمور حساسية، فمن شك يوما أن أبا العلاء أوصى أن يكتب على قبره:

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد

وقد قام أعداء المعري بإغتنام فرصة تصريحه ببعض الآراء والمواقف الجريئة، فقاموا بوضع أبيات أخرى تدور في نقاط تناولها هو لكن من وضعها بالغ في جراتها، كإغتنامهم فرصة تحامله على أبي البشرية آدم عليه السلام، ووجود أشعار عدة له تدل على ذلك، صحيح أن لأبي العلاء أشعار جريئة كما سبق القول لكن لا يمكن أن يتبجح فيها لهذا الحد، فأبو العلاء يسمو عمّا في أبياته من بذاءة ووقاحة وقلة أدب، ومن الأبيات الموضوعية عليه أيضا والتي إستهدفت جعل الرّجل منبوذا من قبل الناس جميعا في كل الملل والمحن وذلك بالطعن على لسانه في الفرس والنصارى واليهود، وحتى المسلمين وبذلك لم يترك له صديقا واحدا، فيقول وهو يريد الشرب¹³⁵:

وقول اليهود إله يعب دسيس الدماء وريح الفتر
وقوم أتوا من أقاصي البلاد لرمي الحمار وشم الحجر
فوا عجبا من مقالاتهم أيعمى عن الحق كل البشر

ولقد تجرأ أعداء المعري على وضع أبيات على لسانه في مخاطبة الذات الإلهية بصيغة تهكمية بوصفه – سبحانه وتعالى- بعدم الإنصاف والعدل في قسم الأرزاق بين الأحمق والعاقل، مما يدفع هذا الأخير إلى الزندقة:

133 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص35.

134 - خليل شرف الدين، أبو العلاء المعري مبصر بين عميان، دار ومكتبة هلال، د ط، 1979، ص107.

135 - خليل شرف الدين، أبو العلاء، مبصر بين العميان، ص161.

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل وترزق مجنوناً وترزق أحمقا
فلا ذنب يا رب السماء على امرئ يرى ما لا يشتهي فتزندق

فقد كان لهذه الأبيات المنسوبة لأبي العلاء سبب لشيوع فكرة زندقته بين الدارسين القدامى وكان كل ذلك الوضع والإتهام إفتراء وعدواناً، فليس لهاذين البيتين أثر في ديوان المعري، بل كيف يمكن للبعض أن يصدق أنه يمكن لأبي العلاء أن يتفوه بشعر كهذا يحمل هذه الأفكار البعيدة كل البعد عن روح الإيمان، وعن الدين الذي شهد لأبي العلاء من قبل أصحاب الحق والضمير؟ منهم الشيخ عبد الوهاب النجار حيث قال: "واعتقادي في أبي العلاء أنه كان متن الدين قوي اليقين..."¹³⁶ فالدارس لشعر المعري يجد أفكاراً تجلّ الله وتعظمه وتخلده، فهي تتناقض كل التناقض مع ما قاله غيره على لسانه، فليس المعري من يقف هذا الموقف إزاء ربه وهو من يحمده، ويكبره، ويسبّحه ويمجّده، فقد كان المعري على يقين من جود خالق، ولكنه كان يقينا عقليا صرفاً، من حيث أن عقله حتم عليه استحالة وجود الخلق والكون دون خالق قادر، وكان المعري يفتقد الحدس الصوفي.

ومن هنا ندرك أن المعري لم يفصل بين العقل والدين، فهو رجل عقل ودين في آن واحد، فقد استطاع أن يتعرف جوهر الدين في حدود عقله وما لم يتعرف عليه من خلال نوافذ هذا العقل كان الشرع والإيمان القلبى طريقه إلى ذلك¹³⁷، فقد كان المعري شديد الإيمان بالله، ولكن إيمانه لم يكن إيماناً وجدانياً فحسب، بل كان إيماناً عقلياً أيضاً، وللمعري أدلته على وجود الله وهي:

الدليل الأول: وهو دليل الحكمة والحيلة، وخالصته أن في العالم نظاماً وترتيباً يدلان على وجود خالق حكيم¹³⁸ فيقول:

فساد وكون حادثان كلاهما شهيد بأن الخلق صنع حكيم¹³⁹

أمّا الدليل الثاني: هو دليل البرهان، وخالصته أن الملدح بحشر الأجساد ملحد بالله، فإذا آمن الإنسان بالحشر لم يخسر شيئاً، وإذا جحده خسر كل شيء، وصفات الله عند المعري هي نفسها الصفات التي وردت في القرآن الكريم فهو عنده واحد وقادر وعادل وحق، خلق العالم ونظمه ورتبه، وكما خلق الله الأجسام خلق الأرواح، وجميع هذه الأسماء التي أطلقها المعري على الله متفقة مع الأسماء التي نجدها في القرآن الكريم، إلا أن المعري يعتقد مع ذلك أن هذه الصفات لا تطلق على الله والإنسان بمعنى واحد، فقد أراد تنزيه الله عند كل ما يوصف به المخلوق، ويقول المعري في أبيات نذكر منها¹⁴⁰:

إنفرد الله سلطانه فما له في كل حال كفاء

ما خفيت قدرته عنكم وهل لها من ذي رشاد خفاء¹⁴¹

فالببيت يماثل قوله عزّ وجل: ﴿قل هو الله أحد﴾، فأثبت له الوحدانية والقدرة بلفظ القرآن ويقول (فما له في كل حال كفاء) وهو قوله تعالى: ﴿لم يكن له كفوا أحد﴾.

فوجد المعري يقول مكبراً:

الله أكبر ما إشتريت بضاعة ألا وأدرك سوقها الأكساد¹⁴²

136 - كامل سعفان، في صحبة أبي العلاء بين التمرد والانتماء، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1993، ص92.

137 - سناء خضر، النظرية الحلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص208.

138 - سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء بين الفلسفة والدين، ص210.

139 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج2، ص445.

140 - سناء خضر، المرجع نفسه، ص210.

141 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص71.

ويقول حامداً ربّه:

فالحمد لله على نعمته تعقب من ضنك وإحراج¹⁴³

ويسبح الله عزّ وجل قائلاً:

سبحان ربك هل يبقى الرشاد له وهل يحس بما يلقي إذا خرجا¹⁴⁴

ويقول أيضاً:

تعالى الله ما تلقى المطايا من الإنسان والدنيا تصيد

فالمعري في كل هذه الأبيات وغيرها، يذكر الله بما يجب ذكره، فلا يذكر إسمه جلّ وعلا إلا وسبّحه أو علاه، أو حمده كما هو واضح إضافة إلى هذا فإنه يقر بوجود الله ويؤكد، ولا شك عنده في وجود إله قادر حكيم، أبدع هذا العالم، ونظم أرضه وسماه فأتى آية من الجمال، وفي هذا يقول:

فالهلال المنيف، والبدر، والفر قد، والصبح والثرى، والماء

والثريا والشمس والنار والنثرة والأرض والصحى والسّماء

هذه كلها لربك ما عا بك في قول ذلك الحكماء¹⁴⁵

كما نجد المعري يخشى مولاه ويخافه كما هو واضح في قوله:

مولاك فقل آرا¹⁴⁶ إذا قيل لك إخش اللا ه

فكل هذه الأبيات تبين لنا أنّ المعري يعترف بوجود الله وبقدرته العظيمة، وأن هناك خالق واحد ومدبر واحد لهذا الكون وهو الله عزّ وجل وأنه لا يوجد له شريك نعبد غير الله سبحانه وتعالى فالمعري إذن على يقين في وجود الخالق سبحانه، فالمعري لم يستثن من الشك سوى المطلق سبحانه وتعالى، فإذا كانت المطلقات هي كل ما لا يدرك بالتفكير المباشر أو بالحواس، فمن الممكن أن يكون الخالق سبحانه وتعالى هو المطلق الأكبر، إذ أنّ الإنسان في كل مظاهر نقصه وضعفه، وإنتهائه من جهل ومرض وشيخوخة لا بد له من الكمال المطلق وهو الله سبحانه وتعالى. فكل محاولات الإنسان إنما تهدف إلى التشبه والتقرب من هذا الكمال المطلق ولذلك فهو يقول في حقيقة الموت:

أزول وليس في الخلاق شك فلا تبكوا علي ولا تبكوا¹⁴⁷

كما نجد المعري يفضل محمد صلى الله عليه وسلم، على سائر الأنبياء كما يؤثر الإسلام على سائر الشرائع سبب ذلك، كما ذكر هو أنّ الإسلام دين عمل إجتماعي حث على الورع، وإقتصد في فرض العبادات، وحرّم الخمر، وجاء بالمثل العليا.

وأحسن ما قال عن سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

دعاكم إلى خير الأمور محمّد وليس العوالي في القنا كالسّوافل

142 - أبو العلاء المعري، المرجع نفسه، ص229.

143 - المرجع نفسه، ص186.

144 - المرجع نفسه، ص176.

145 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص57.

146 - المرجع نفسه، ص75.

147 - المرجع نفسه، ج2، ص222.

حداكم على تعظيم من خلق الضحى وشهب الدجى من طالعات وأفل
وألزمكم ما ليس يعجز حمله وأخا الضعف من فرض ونوافل

وحدث على تطهير جسم ملبس وعاقب في قذف النساء الفواضل¹⁴⁸

فهل في الحقيقة كل ما ورد في شعره من تمجيد وتعظيم وتكبير لله عز وجل، وما قاله عن سيدنا محمد من أشعار جميلة، أن يتهم بالكفر والإلحاد والزندقة؟ أمّا فيما يخص الديانات فالمعري لم يهاجم الديانات، كما رأى البعض وإنما هاجم أصحابها، وفرق أن يهاجم الإسلام والمسيحية واليهودية، وأن يهاجم المسلمين والنصارى واليهود، فقد اختلف أصحاب كل دين، وتفرقوا فرقا، وقد عد الأصفهاني المعاصر لأبي العلاء الفرق الإسلامية وهي ثلاثة وسبعين فرقة، واحدة فقط هي الناجية والباقيون في النار، ولكن في نفس الوقت فإن المعري قد مدح الإسلام من بين هذه الأديان وفضله عليها حيث يقول:

وإن لحق الإسلام، خطب يغضه فما وجدت، مثلاً له نفس واجد¹⁴⁹

فقد كان المعري يقضي عامة وقته في الإقراء والتصنيف، والذكر والتسبيح، وتشهد له تصريحاته بهذا، وذلك حين قال: "لزمت مسكني منذ سنة أربعمائة، وإجتهدت على أن أتوفى على تسبيح الله وتحميدته إلى أن أضطر إلى غير ذلك"، كما قرأ القرآن والحديث، ويشهد له (السلفي) بذلك حيث قال: "قرأ القرآن بروايات، وسمع الحديث على ثقات وله في التوحيد وإثبات النبوة وما يحض على الزهد، وإحياء طرق الفتوة والمروءة، شعر كثير، فقد كان المعري شديد التمسك بدينه، محافظاً على شعائره¹⁵⁰، فقد كان لا يتهاون في أداء شعائر الدين، والإلتزام بالعبادات إذ كان الصوم لا يفارقه، بل يلزمه معظم أوقاته، فقد كان نصف حياته -إن صح القول- صياماً، حيث "كان يكثر من الصوم فيما بين الثلاثين والسبعين من عمره، فلم يفطر في السنة ولا الشهر"، كما أن الصوم عنده، لم يكن يعني الإمتناع عن الأكل والشرب فحسب، بل الإلتزام بالأخلاق الحسنة، والإبتعاد عن كل ما يخلها ويتعارض مع الأخلاق الدينية، مثل الكذب وهذا ما يفترض في الصوم الإسلامي الصحيح فيقول:

طال صومي ولست أرفع صومي ووفودي على المنية فطر¹⁵¹

صمت حياتي إلى مماتي لعل يوم الحمام عيد¹⁵²

أنا صائم طول حياتي وإنما فطري الحمام وعند ذلك أعيد¹⁵³

كما كان يحث على الزكاة، ويدعوا إلى أدائها فيقول: "ولو أدوا زكاتهم وافية، لم يبق في الدنيا فقير". كما كان مواظباً على الصلوات في مواقيتها، وكان ملتزماً في صلاته لا يتوانى عن تأديتها، ولا يتهاون بها، وسنستدل بمجموعة من الأدلة الإيمانية عند المعري من خلال شعره نثره:

أ: في الفصول والغايات: في هذا الكتاب نوعان من أنواع التقرب إلى الله ولونا من ألوان العبادة والثناء عليه، فهو يثني على الله ثناء الإنسان الحر الذي جمع بين خصلتين متناقضتين، هو حر فلا يمنعه شيء من

148 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج2، ص322.

149 - المرجع نفسه، ج1، ص364.

150 - عبد المجيد دياب، أبو العلاء المعري الزاهد المفترى عليه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1986، ص139

151 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص321.

152 - المرجع نفسه، ص224.

153 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج01، ص229.

أن يتحدث إلى ربه حديث المؤمن به يصارحه بما فهم وما لم يفهم، ويجاهر بما رضي وبما لم يرض، هو مؤمن بالله حيث يقول في الفصول والغايات: "لله المَن والطول، شاهد ما غاب ولن يغيب، وقديما ليس لإبتدائه وجود، تقاصر لأوليته طوال الأعمار، وكالأخيلة إذا حدثت عندنا النظرة وكذبتها الثانية عنده أعمار السنين.

ب: في اللزوميات: كان المعري فيها مؤمنا بالله وكتبه ورسله، وهناك من يرى أن المعري رأى الفلاسفة اليونان، فقد سلك طريقهم في الفلسفة الطبيعية والرياضية، كما سلك طريقهم في الفلسفة الإلهية فأثبت الله وأقربه، فقال في اللزوميات:

أثبت لي خالقا حكيما وليت من معشر نفاه¹⁵⁴

واللزوميات ممتلئة بما قال المعري في إثبات الله وتمجيده ووصفه بما ينبغي أن يوصف به من صفات الكمال، فأبو العلاء يثبت القدرة العامة الشاملة لله وهو ما يتفق عليه الفلاسفة والمسلمون وعامة أهل الديانات السماوية، ومن خلال شعره ونثره نجد أن المعري كان مؤمنا بالله وبملائكته وباليوم الآخر، ومؤمن بما جاء في القرآن الكريم من آيات وسور قرآنية ونثبت هنا أن الإتهامات التي أنهم بها المعري باطلة لا أصل لها، وهي الحقيقة آراء بعض الحاسدين له في علمه وأدبه، وعلى هذا الأساس نجد بعض المدافعين عن عقيدة المعري في قوله بقدم الزمان:

أرى زماً تقادم غير فان فسبحان المهيمن ذي الكمال¹⁵⁵

فهو هنا لا يقول أن الزمان قديم ليس له بدء كقدم الله تعالى، وإنما يقول أنه تقادم وطال به العهد، ثم جعل الله سبحانه مهيمنا ومسيطرًا عليه ويعتبر هذا هو الأصل الخامس في فلسفة المعري، أما الأصل السادس فهو الإيمان بالله، وملائكته ورسله واليوم الآخر، وهناك من يتمسك بأبيات المعري يدل ظاهرها على الإلحاد وإذا وجدوا أبيات تدل على حسن العقيدة أهملوها الحقيقة أن الأدلة إذا تعارضت تساقطت ووجب علينا أن نلتزم سبيلا آخر لإيضاح هذه الناحية وليس لدينا إلا حياة المعري العملية، فقد كان صوّماً قوَّماً صالحاً تقياً زاهداً¹⁵⁶.

كما قالوا إنه متشائم يئد الطموح في أنفس الشباب ناسين دعوته إلى العمل وتمجيد العاملين وغطوا على أرسنقراطية وأنانية أبي فراس حين قال: "إذا متّ ظمّانا فلا نزل المطر... " وروجوا لزهديات أبي العتامية التي نطق بها "وهو غارق حتى الأذنين في الترف بقصر الرشيد"¹⁵⁷، إن هذا التحامل على أبي العلاء، يتجلى من خلال كل هذا فلم لم يُتهم غيره واتهم هو مع أنه لم يفعل ما فعلوه؟ لقد حاول كل من كفره تشويه صورته أما الناس في زمنه وغير زمنه محاولين ذلك تشويبه وتدنيسه في نظر الناس، ومن بين الأبيات التي أُلحِد بسببها:

أفبقوا أفبقوا يا غواة فأنما ديانتكم مكر من القدماء

أرادوا بها جمع الحطام فأدركوا وبأدوا وماتت سنة اللؤماء¹⁵⁸

وقد شرح المعري معنى أبياته، حيث أن أهل الكتاب كانوا يمكرون أتباعهم، وفي الكتاب الكريم قوله عزّ وجل: ﴿ومكروا ومكر الله﴾¹⁵⁹، وسوف نعرض في النهاية بعض أبيات للمعري توضح لنا صدق العقيدة وسلامة الدين فيقول في الوجدانية:

154 - المرجع نفسه، ص50.

155 - المرجع نفسه، ج2، ص341.

156 - سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص218.

157 - خليل شرف الدين، أبو العلاء المعري مبصر بين عميان، ص104.

158 - أبو العلاء المعري، المرجع نفسه، ص50.

إذا قومنا لم يعبدوا الله وحده
بنصح، فإننا منهم بُراءٌ¹⁶⁰

فلو يُرجى مع الشركاء، خير
لما كان الإله بلا شريك¹⁶¹

حكم تدل على حكم قادر
متفرد، في عزة بكمال¹⁶²

وفي صفات الله يقول:

ربي متى أرحل عن عالمي؟
فأنت بالناس خبير عليم¹⁶³

ويقول في تنزيه الله عن الشبه:

تشابهت الأشياء طبعا وصورة
وربك لم يسمح له بشبيه¹⁶⁴

ويستهجن من يؤمن بالله ولا يؤمن بالنبوة فيقول:

أقرا بالإله وأثبتوه
وقالوا: لا نبي ولا كتاب¹⁶⁵

ونستخلص في الأخير إلى جوهر عقيدة المعري في النقاط التالية:

- 1- إذا حصرنا الأدلة التي تؤكد إيمان المعري وحسن عقيدته، بالأدلة التي تؤكد العكس سنجد أنّ الأولى أكثر من الثانية على المستوى الكمي.
 - 2- إذا تعمقنا أدلته بطريقة منطقية لوجدناه سليم الإيمان قوي العقيدة.
 - 3- السيرة الذاتية للمعري وأخلاقه هي في حقيقتها مستوحاة من الدين ونابعة من تعاليمه، ومثله وأخلاقه.
 - 4- المعري لم يهجُ الديانات في ذاتها كديانات من السماء ولكنه هجا منتحلها، ولذلك كان قوام الإيمان عن المعري العمل وليس النظر فقط، فالعمل يتطلب الجهد والمشقة والإيمان الحقيقي هو نزوع الباطن إلى التدين وليس الظاهر.
 - 5- لم تكن عقيدة المعري، كفرا بالنبوات، فهو مصدق لها عامل بها وقد أوضحنا أدلته عليها ولكنه كره التهافت والتناقض من بعض الفرق في شأن النبوات.
- وفي النهاية نستطيع أن نسلم بأن المعري مؤمن بالله ورسوله مطبقا هذا على مجال السلوك عاملاً عقله إلى أقصى درجة، وفي كل هذا نلمس التكاثر بين جانب العقل والنقل في رؤية المعري.
- كما لا يعقل أن يكون رجل كهذا متمسك بالعبادات الإسلامية مؤمن بربه إيمانا قويا وطيدا، ملحدًا كافرًا كما إتهموه ووصفوه.

159 - الآية "54" من سور آل عمران.

160 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص45.

161 - المرجع نفسه، ج2، ص242.

162 - المرجع نفسه، ص357.

163 - المرجع نفسه، ص484.

و - المرجع نفسه، ص627.

165 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج01، ص99.

الفصل الثالث: دراسة تطبيقية

1. تمهيد
 2. فكرة الغفران في المعتقد الإسلامي.
 3. الوقوف عند بعض النصوص التي تضمنتها رسالة الغفران.
- 1.3. القرآن الكريم

2.3. قصة الإسراء والمعراج

4. وصف المدونة

5. تحديد العينة

6. تحليل العينة.

تمهيد:

رغم أننا خصصنا فصلاً مستقلاً لرصد مواقف المعري من الدين عامة، من الضروري تخصيص فصل آخر لنتوصل إلى حقيقة هذا الدين من خلال كتابه "رسالة الغفران"، والذي عرجنا فيه إلى حقيقة دين المعري من خلال النماذج الشعرية التي استشهدنا بها في فصلنا المعنون بالدين-سنتطرق إلى نثر المعري لنثبت حقيقة أخرى تضمنها هذا الكتاب والتي تثبت جوانب إيمانية كثيرة تتعلق بالجنة والنار، الجزاء والعقاب، وغيرها من الأمور التي سنتحدث عنها بدقة ووضوح، حيث كثر الحديث عن دين المعري وانقسم النقاد طائفتين: الأولى تنصبت للدفاع عن عقيدة أديب المعرفة، وسعت جاهدة تنقب في آثار المعري لتجمع الاستدلالات التي تدعم هذا التوجه، والثانية: اعتبرته زنديقا، وأهدرت طاقات في البحث عن حجج تؤكد إلحاده.

دافع عنه ابن العديم في الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجني عن أبي العلاء المعري"، ودافع عنه القفطي في أنباء الرواة، ومن المحدثين الدكتورة عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطئ).

سنعتمد على الجهد العلمي الذي بذلته الدكتورة بنت الشاطئ صاحبة الفضل في تقديم رسالة الغفران إلى دراسي تراث أبي العلاء في تحقيق علمي فذ، حيث تقول: "تنفرد رسالة الغفران بمكانة خاصة نقلها من نطاق الأدب العربي إلى النطاق العالمي، وحتى القرن الثالث عشر الهجري، لم يكن المعروف عنها يتجاوز كلمات قصارا...إنها من رسائل أبي العلاء الحسان الطوال. التي تجري مجرى الكتب المصنفة في مجلد واحد، وقد كتبها إلى علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح جوابا عن رسالة كتبها إليه يعتب عليها، أنه ذكر هجائه لأبي القاسم المغربي."¹

وفي القرن 19 عشر بدأ اسم الرسالة يتردد في الأوساط الأدبية بأروبا مقترنا بالكوميديا الإلهية "دانتي" على سبيل أن دانتي متأثر بأبي العلاء وقد يكون خله وأخذ عنه.

- لكن نص الرسالة لم يعرف على صورة ما، حتى شهر يوليو 1899، حيث نشر المستشرق الإنجليزي- نيكلسون- في المجلة الآسيوية الملكية أن ظفر بمخطوطات أهمها" رسالة الغفران وكانت في حوزة

المستشرق شيكسبير ثم قدم في عام 1900 وصفا للمخطوط، وترجمة ملخصة للقسم الأول من الرسالة مع الأصل العربي لكثير من أشعاره وفقراته، وفي عام 1902 نشر نيكلسون ملخص القسم الثاني مترجما مع الأصل العربي، وبعد دراسة واسعة واسعة متخصصة

1- عائشة بن عبد الرحمان، قراءة مجددة في رسالة الغفران، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ص49.

استغرقت ربع قرن، قرر بلاسوس " أن أصول إسلامية من بينها " رسالة الغفران قد كونت أسس الكوميديا الإلهية، وأحدث الكتاب دويا في العالم الأروبي، وأخذت رسالة الغفران مكانها في دراسات المستشرقين، و تسابقت البحوث والمقالات الخاصة بها¹.

- هذه الرسالة كتبها إلى علي بن منصور الحلبي المعروف " بابن القارح" جوابا على رسالة أرسلها إليه يذكر فيها شوقه إلى لقائه وينحى بها عن الزنادقة ويتنقص الوزير المغربي صديق أبي العلاء، فأجابه برسالة طويلة مسرحها الجنة والنار، وقد ضمنها فنونا شتى من اللغة والأدب والأخبار، أما شخصيات الرسالة فقد اصطفاها أبو العلاء، على شاكلته من عالم الشعراء واللغويين المغنيين.. وذلك لتأليف وحدة مسرحية مكتملة العناصر ناطقة بما كان يدور في عالمه النفسي والخيالي².

1- فكرة الغفران في المعتقد الإسلامي:

قال تعالى: " وسارعوا إلى مغفرة من ربكم عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين اللذين، إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله واستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين"³ وقال " رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي، فغفر له إنه هو الغفور الرحيم"⁴.

والقرآن مليء بآيات الغفران، حتى أننا نستطيع القول: إن فكرة الغفران ظاهرة في الدين الإسلامي كما لم تظهر في غيره، وربما كانت هذه الآيات تمثل خير تمثيل لفكرة الغفران.

ولقد أوضحنا فيما سبق أن فكرة الغفران مطلب يطلبه الضعيف الخائف من قوي قادر فوق الجميع وهذا ما توضحه الآيات " مغفرة من ربك". "أعدت للمتقين" على أن المتقين

1- منير سلطان، التضمين والتناسل- وصف رسالة الغفران للعالم الآخر-، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2004، ص75.

2- أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تح علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2007، ص05.

3- سورة آل عمران "الآية 132".

مع كونهم ضعفاء إلى الله إلا أنهم أقوياء بالقياس إلى غيرهم فإن "الذين ينفقون في السراء والضراء" وهم أول المغفور لهم من المتقين أقوياء بأموالهم وكرمهم في آن وإن "الكاظمين الغيظ" أقوياء كذلك بالصبر وشدة التحمل. مع الغيظ¹.

أما الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله واستغفروا لذنوبهم "ولم يصروا على ما فعلوا" فهم ضعفاء أكثر من غيرهم ولكنهم لا يعدمون القوة فهم أقوياء لموطن ضعفهم.

وفكرة الغفران مثبتة في الحديث النبوي: "لو لم تذنبوا لآت الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم"² "وأنا شافع وأول مشفع يوم القيامة ولفخر"³، ويروى عن جابر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يارب أنى لي هذا؟ فيقول باستغفار ولدك لك".

ومن هنا نرى أن فكرة الغفران ليست منفصلة عن الدين، بل هي إحدى أفكاره الأساسية، لئن كان المعري قد تناولها في عمله الأدبي الفذ (رسالة الغفران) فقد سبقه إلى تناولها كتاب الإغريق وغيرهم، وتناولها بعدها كثير من الكتاب، وسوف يتعرض لهذه الفكرة- فكرة الثواب والعقاب- والمغفرة بعد المعري الكثير من الأدباء، لأنها متعلقة بمعتقد ديني متوحد لدى جميع البشر⁴، كما يتضح لنا أن فكرة الغفران ماثلة أيضا في شعر المعري الذي تمثله أبيات كثيرة من لزومياته:

أستغفر الله في أمني وأوجالي من غفلتي وتوالي سوء إهمالي
يارب هل أنا بالغفران في طعني مزود أن قلبي منك مزود
إن ختم الله يغفر فكل مالا قيته سهل⁵

فالغفران من خلال هذه الأبيات مرتبط بالخوف من العقاب والأمل في الثواب، فلا مغفرة إلا بمشيئة قوية وإرادة رحيمة لطلب خائف راغب في المغفرة والثواب.

1- ينظر: أبو الحسن سلام، الظاهرة الدرامية والملحمية في رسالة الغفران، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، ط1، 2004. ص71.
2- مسند إلى سماع أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.
3- حديث نبوي- رواه الترمذي من حديث بن عباس.
4- ينظر: أبو الحسن سلام، الظاهرة الدرامية والملحمية في رسالة الغفران، ص72.
5- أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص35.

2- النصوص التي تضمنتها "رسالة الغفران":

2-1 القرآن الكريم:

لولا أن رسالة ابن القارح¹ هي التي خلقت رسالة الغفران، لوضعت آيات القرآن الكريم في رأس الروافد التي تعللت بنية الرسالة، والأمر بالنسبة للقرآن يتجاوز الاستشهاد بآيات وصف الجنة والنار والاعتماد على قصة الإسراء والمعراج، إلى هيمنة الروح الإسلامية والمفاهيم الإسلامية على عرض مواقف التي تعرض لها أبطال الرسالة وعلى طبيعة الحوار ولغته وعلى الهدف من إدخال بعض العاصين الجنة بعد قليل من العذاب- ونصيب ابن القارح من هذا كله.

إن أجمل ما يصنعه الكاتب أو الشاعر أن يضمن كلامه شيئاً من القرآن الكريم، هنا يخرج أسلوبه من الخصوصية إلى العمومية، خصوصية فكرة الكاتب إلى عمومية معالجة القرآن مع إضفاء الدقة والجدة والبلاغة فالقرآن الكريم يجول في أحشاء النص، ليمده بالنور، ويضيف إليه ما يصنف، ويخرج كما دخل قرأنا عربياً لقوم يعلمون، بشيراً ونذيراً.

إن تضمين القرآن الكريم يجب أن يتم على يد كاتب صناع، يعرف أين يضع الآية، وماذا يريد منها؟ وماذا استصنع في هذا المكان دون سواه، لقد هيمن النص القرآني على جو الرسالة، جعل لها حلاوة وأمد الملتقى بزاد من الراحة والطمأنينة والرضا، وفرض تضمين القرآن على الأسلوب أن يكون مختاراً رفيعاً بليغاً، حتى يقترب من قمة أسلوب القرآن، هذا التضمين، تضمين كاتب مسلم لقارئ مسلم، إن دقة الكلام بتضمين القرآن قد استقامت، وصارت في مستوى من البلاغة العالية، فالنص القرآني طرح رائحة زكية بين الكلمات، وأعطى طعماً فريداً لما سبقه من الكلام، فإذا نزعنا الآيات القرآنية من الخطاب العلائي فنتحول العبارات إلى نغمة نشاز.

1- ابن القارح هو علي بن منصور الحربي الملقب بابن القارح، ويكنى أبا الحسن ولد سنة 351 هجرة، وكان حياً سنة كتابة الرد على رسالته، وقد تجاوز السبعين من عمره، أديب شاعر خدم أبا علي الفارسي الحسن بن أحمد بالشام وآل المغربي بمصر، واتصل بأبي القاسم المغربي صديق. أبو العلاء المعري.

إن كلمات الرسالة تنتفس القرآن، تتغلغل في معانيه وتذوب في مجانيه فالمنهج الذي اتبعه أبو العلاء هو ألا يخرج عن توثيق وصفه للجنة أو النار عما ذكره القرآن وكأنه يشعر أنه في منطقة محفوفة بالمخاطر والمحاذير، وهو عنده ما يكفي من حاسديه، الذين اتهموه في عقيدته وسلوكه وحينما يقدم لهم جنة من

صنع أشواقه وأحلامه وخياله فلا شك أن ينقلب عليه المتفهبون والمتاجرون بالدين، وإذا كان " دانتي " قد تصرف في وصف جنته واستلهم خياله، وكذا فعل في " جحيمه " كما فعل أرسطوفانيس في " الضفادع " وهو ميروس في الاودسيا " ... فإن أبا العلاء قد التزم بالجنة القرآنية، ولم يفارق حدودها، ولم يرسم إلا نموذجها الذي قدم للعقل البشري ليستوعبه ذلك العقل بقدراته، وطاقاته¹، ومن هنا نبين أن اختيار المعري للقرآن الكريم كشاهد عما يقوله في رسالته أحسن اختيار، فلا يستطيع المعري أن يتخلى عن القرآن الكريم في فصول الرسالة، فالجنة التي رسمها المعري في رسالته لا تخرج عن المواصفات التي ذكرها القرآن وهذا ما يدل على أن الرسالة دينية إسلامية بالدرجة الأولى.

2-2- قصة الإسراء والمعراج:

إن قصة الإسراء والمعراج تقف شامخة في عقل وخيال كل مسلم سواء عرفها بالتفصيل أو بالإجمال والمحرك الأساس لها ما حدث فعلا للمصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير." ²

بالإضافة إلى الأحاديث النبوية في تفاصيل رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وكذا تفاصيل المعراج إلى السموات العلاء في خمسة عشر حديثا التي تتكرر في بعضها تفاصيل وتختفي تفاصيل أخرى لتحل محلها غيرها إلى أن يصل المصطفى صلوات الله عليه وسلامه الى سدرة المنتهى، حيث خاطبه سبحانه وتعالى وأمره بالصلوات الخمسين (50) التي خفت حتى صارت خمسا في العدد وخمسين في الأجر ³، لقد شكل القرآن الكريم رسالة الغفران، وأوحت الإسراء والمعراج لأبي العلاء أن يصعد بابن القارح إلى العالم الآخر بعد أن ألمح إلى ذلك ابن القارح نفسه في رسالته.

1- ينظر: منير سلطان: التضمين والتناص. وصف رسالة الغفران للعالم الآخر- ص133.

2- سورة الإسراء " الآية 01".

3- منير سلطان، التضمين والتناص- وصف رسالة الغفران للعالم الآخر-، ص.

وإن كان المعري يقصد بقصة الإسراء والمعراج أن يسري بابن القارح، واحتلاله مكانة هامة، هذا يعني أنه أخذ مادة رسالة الغفران من القرآن الكريم وطبقها على جنته التي اختار شخصياتها من العلماء واللغويين والأدباء ومن على شاكلتهم من رجال العلم والأدب.

علاوة على تضمين القرآن الكريم وقصة الإسراء والمعراج نجد بعض الأعلام لها علاقة وطيدة بالمعتقد الإسلامي الديني، منها:

1 - آدم عليه السلام:

إن توظيف آدم عليه السلام يعطي للعمل الفني بعدا زمنيا، وعمقا وصدقا وتجسيدا للأفكار وكأنها حقيقية، فحول آدم عليه السلام قضايا في الدين، وفي بداية الخلق، وفي الجنة، وفي الأرض فأدم هو الإنسان الذي عاش بين الجنة والأرض، وهو الذي خلق من تراب وخلقت حواء من ضلعه ... آدم عليه السلام علم مكتنز " بالأبعاد المتشابهة والمتناقضة." ¹ وقد وظف في الرسالة رمز العدة معان، بحيث تنوعت استخدامات العلم آدم عليه السلام فهو مكتنز بالمعاني، متنوع بالإحياءات.

2-الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:

الرسول الكريم غير آدم عليه السلام، غير موسى عليه السلام، غير عيسى عليه السلام، إنه محمد بن عبد الله، خير من أنجبت أم، الرسول الكريم لا يصلح أن يكون رمزا لكذا أو لكذا، لأنه فوق الرمز قد جمع كل المعاني القريبة والبعيدة، والصريحة والمضمرة، الرسول الكريم هو الرسالة، رسالة الإسلام، رسالة السماء إلى الأرض مفتاح الجنة، المنقذ من النار، فأتباعه ومن عاشوا بعد بعثته، ومن جاء بعد أن انقضت حياته، كلهم بحاجة إلى أن يعرفوا إلى أين ستذهب بهم أفعالهم، كلهم بحاجة إلى أن يروا كل ما تصوره في الدنيا، وأن يروا وجه الرسول صلى الله عليه وسلم، والشفاعة هي أمل الجاهلين من الشعراء، وحثهم أنهم لم يأتهم رسول، مع أنهم كانوا مطالبين آنذاك أن يتهودوا أو ينتصروا إلى أن يظهر الإسلام.

كما نجد توضيف المعري في رسالته بعض الأعلام الأخرى كعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفاطمة الزهراء... وغيرها من الأسماء الأخرى التي ارتبطت بالدين الإسلامي والتي ضمنها أبو العلاء المعري في رسالة الغفران، كما نجد نصوص رسالة الغفران قد حملت في طياتها الحديث عن الجنة والنار. فالجنة: النعيم، الراحة، والسعادة، والعافية، والنار: العذاب والقلق، والجوع، والعطش، والألم، والحاجة، حيث لا راحة، ولا سعادة ولا شفاء².

1- ينظر: منير سلطان، التضمين والتناص، وصف رسالة الغفران للعالم الآخر ص132.

2- المرجع نفسه، ص125.

وأبو العلاء استغل هذا الرصيد المزروع في كل إنسان مؤمن بالبعث وباليوم الآخر، لقد وضع أبو العلاء نفسه في إطار الحدود التي رسمها القرآن للجنة، وتلك التي رسمها للنار.

فالفرق الوحيد الذي نلاحظه بين الجنة والنار عند: المعري والجنة والنار في صورتها الحقيقية يكمن في أن الجنة والنار عند المعري شخصياتها من الشعراء واللغويين والمغنين، لكن هذا لا يعني أن صفاتها بعيدة كل البعد عن الجنة والنار الحقيقيين، فالصفات نفسها، فالفرق الوحيد هو الشخصيات، والآن سنتناول بالدراسة الوصف الداخلي والخارجي لكتاب " رسالة الغفران ". مع تحليل بعض النصوص النثرية التي تضمنتها رسالة الغفران، لنبين إن كانت تنطبق مع ما جاء به الإسلام أم لا.

3-وصف المدونة:

يصعب علينا دراسة كل الكتب التي ألفها المعري، والتي تثبت جوانب إيمانية تتعلق بمعتقده ودياناته، ولذلك انصب اختيارنا لكتاب- رسالة الغفران وربما يتبادر إلى الأذهان، لماذا هذا الكتاب في حد ذاته؟ إجابة على ذلك نقول: قلة الدراسات التي تطرقت لهذا الكتاب على حساب كتاب اللزوميات الذي كان مدروسا بكثرة ومتناول بنسبة تفوق هذا الكتاب.

أما النقطة الثانية التي استدعت اختيارنا لهذا الكتاب-رسالة الغفران- لأنه كتاب نثري، وأغلب الدراسات كانت قد ركزت على الدواوين الشعرية فقط، في حين أهملت الجانب النثري وبدراستنا هذه نشبت أن المعري لم يبدع في اللزوميات فقط وإنما أبدع في مجال النثر أيضا وأثبت قضايا متعددة، تشبه إلى حد

بعيد القضايا التي أثبتتها في دواوينه الشعرية، إن كتاب " رسالة الغفران " الذي ألفه أبو العلاء المعري يعتبر من أهم الكتب التي تبين لنا الجوانب الإيمانية عند المعري.

وقد جاء الكتاب بعدة طبعات منها: الطبعة الثالثة التي نشرتها دار الكتب العلمية ببيروت سنة 2007م- 1428 هجرية ويقع الكتاب في مئتان وثمانون صفحة (280)، وهو من الحجم المتوسط، وهذا عرض مختصر لمحتواه:

القسم الأول: من الصفحة السابعة وثلاثين (37) إلى الصفحة مائة وخمسة وسبعون (175): يبدأ القسم الأول من الغفران بخبر وصول رسالة ابن القارح المفتحة بتمجيد الله، ومن هذا التمجيد كان المنطلق إلى العالم الآخر، ففي قدرته تعالى أن يجعل كل حرف من كلمات ابن القارح في

تمجيده معراجا من نور يعرج بالشيخ ابن القارح إلى عالي السموات، ولقد غرس له بفضل هذا الكلم الطيب شجر في الجنة، يجلس في ظلّه مع من اصطفى من ندامى الفردوس، وكلهم من علماء اللغة، ورواة الشعر وهم في المجلس يتذاكرون، ويتناشدون الأشعار،... وإذ يذكر الأعشى فيتمنون له أن يكون بينهم يطربهم بشعره ... حتى يتمثل أمامهم الأعشى أحور العينين...وينظر ابن القارح في رياض الجنة فيرى قصرين باسم عبيد ابن الأبرص وزهير بن أبي سلمى ... ويلتم جمع الشعراء والأدباء ويدور الشعر بينهم مع الغناء وخمر الجنة، ولا يلبثون أن تقع مشاحنة بين الأعشى والجعدي يتبادلان فيها أفحش السباب، ويمر حسان بن ثابت بالمجلس فيدعونه للمحادثة ويسألونه في أبياته الخمرية التي جاءت في قصيدته الهمزية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يفترق المجلس، ثم يبدو للشيخ أن يطلع على أهل النار فيركب بعض دواب الجنة، ويلقى عتبة بن أبي لهب والحطيئة، الخنساء، ويلقى ابن القارح في النار، ويدور بينهما حوار عنيف ثم يلقي امرؤ القيس، وعنزة العبسي وعلقمة، وعمرو بن كلثوم ... حتى إذا قضى في محاورتهم انطلق عائدا إلى الجنة ويمر في طريقه بأبينا آدم، حيث سأله في الشعر المنسوب إليه وفي لغة أهل الجنة، وعرج في طريقه على جنة الرجز حيث قابل منهم الأعلب العجلي والدجاج، وقرر أن مكانهم المتواضع في الجنة على قدر منزلتهم الهابطة في الشعر.

وتنتهي الرسالة بوصول ابن القارح إلى محله المشيد في دار الخلد.

وفي القسم الثاني: من الصفحة مائة وأربعة وثمانون (184) إلى الصفحة مئتان واثنان وسبعون (272): وفيه يرد أبو العلاء على ما جاء في رسالة ابن القارح إليه فقرة مستطردا من خلال رده إلى أمال لغوية وأدبية ومعترضا لقضايا نقدية وتاريخية مهمة وتستمر بنت الشاطي قائلة: "... وبين قسيمي الرسالة فرق واضح فأولهما عمل فني تبدوا فيه شخصية أبي العلاء الأديب، وقد كانت رحلته إلى العالم الآخر هي التي شغلت الدارسين الأوربيين، لما رأوا من ملامح بينها وبين الكوميديا الإلهية"¹¹.

أما القسم الثاني من الرسالة هو الذي ينطبق عليه قول القدامى " رسالة إخوانية مطولة تجري مجرى الكتب المصنفة " وتبدوا في هذا القسم شخصية أبي العلاء والعالم اللغوي، والناقد الأدبي والاجتماعي لعصره.

1- بنت الشاطي، رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، سلسلة تراث الإنسانية، مج 2، ص421.

4- تحديد العينة:

إذا، وبما أننا تطرقنا للوصف الداخلي والخارجي للكتاب- رسالة الغفران- سنقدم الآن مجموعة من النصوص النثرية الواردة في كتابه، لنتوصل في الأخير إلى مدى صحة ما أثبتناه فيما يخص عقيدة المعري ودينه، وهذا عرض مختصر لمجموعة من النصوص الواردة في كتاب رسالة الغفران:

1-وصول الرسالة:

يقول المعري: "وقد وصلت الرسالة التي بحرها بالحكم مسجور، ومن قرأها لاشك مأجور، إذ كانت تأمر يتقبل الشرع، وتغيب من ترك أصلا إلى فرع.... وألفتها مفتتحة بتمجيد، صدر من بليغ مجيد، وفي قدرة ربنا جلّت عظمته أن يجعل كل حرف منها شبح نور، لا يمتزج بمقال الزور، يستغفر لمن أنشأها إلى يوم الدين، ويذكره ذكرا محب خدين¹.

ولعله سبحانه قد نصب لسطورها المنجية من اللهب، معاريح من الفضة أو الذهب، تعرج بها الملائكة من الأرض الراكدة إلى السماء، وتكشف سجوف الظلماء" بدليل قوله عز وجل : "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه"² وهذه الكلمة الطيبة كأنها المعنية بقوله:

"ألم ترى كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها"³، وقد غرس لمولاي الشيخ الجليل إن شاء الله شجرة في الجنة، كل شجرة منه تأخذ ما بين المشرق إلى المغرب بظل غاط⁴.

ويقول المعري أيضا في نفس الباب واصف خمر الجنة: " ويعارض تلك المدامة أنهار من عسل مصفى، ما كسبته النحل الغادية إلى الأنوار، ولا هو في موم⁵ متوار ولكنه، قال له العزيز القادر: كن فكان، ويكرمه أعطى الإمكان، وما لذلك عسلا لم يكن بالنار مُبَسَّلاً⁶ لو جعله الشارب المحرور غذائه طول الأبد..."، بدليل قوله تعالى: " مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى و لهم فيها من كل الثمرات"⁷

- 1- الخدين: الحبيب والصاحب.
- 2- سورة فاطر، الآية 10.
- 3- سورة إبراهيم، الآيتان: 24-25.
- 4- غاط: المطمئن من الأرض.
- 5- الموم: الشمع.
- 6- مبتسل: أي صار شديدا حامضا.
- 7- سورة محمد، الآية 15.

2- اللغويون في الجنة: ص 62

يقول المعري: " وكأني به، آدم الله الجمال ببقائه، إذا استحق تلك الرتبة، بيقين التوبة، وقد اصطفى له ندامى من أدباء الفردوس كأخي ثمالة، وأخي دوس، ويونس بن حبيب الضبي، وابن مسعدة المجاشي، فهم كما جاء في الكتاب العزيز: " ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين"¹

3- مع النابغة الذوباني والنابغة الجعدي: ص 77

يقول: يا أبا ليلى، لقد طال عهدك بألفاظ الفصحاء، وشغلك أشراب ما جاءتك بمثله بابل ولا أذرعات، وثنتك لحوم الطير الرائعة في رياض الجنة فنسيت ما كنت عرفت، ولا ملامة إذا نسيت ذلك. بدليل قوله تعال: " إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون، هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون، لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون"².

4- مع حسان بن ثابت : ص 94

يقول " كيف جنبك يا أبا عبد الرحمن؟ فيقول: ألي يقال هذا وقومي أشجع العرب؟ أراد ستة منهم أن يميلوا على أهل الموسم بأسياقهم، وأجاروا النبي صلى الله عليه وسلم، على أن يحاربوا معه كل عنود، فرمتهم ربيعة ومضرو جميع العرب عن قوس العداوة، وأضمروا لهم ضغن الشنان³، بدليل قوله تعالى: " ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرقا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله، ومأواه جهنم وبئس المصير."⁴

5- مع فاطمة الزهراء: ص 107

"إنها تخرج في كل حين مقداره أربع وعشرون ساعة من الدنيا الفانية، فتسلم على أبيها، وهو قائم لشهادة القضاء، ثم تعود إلى مستقرها من الجنان ... فلما حان خروجها ونادى الهاتف: أن غضوا بأبصاركم يا أهل الموقف حتى تعبر فاطمة بن محمد صلى الله عليه وسلم، اجتمع من " آل أبي طالب" خلق كثير، من ذكور وإناث ممن لم يشرب خمرا، ولا عرف قط منكرا فلما رأتهم قالت: ما بال هذه الزرافة؟⁵ ألكم حال تذكر؟ فقالوا: نحن بخير إن نلتذ بتحف أهل الجنة،

- 1- سورة الحجر، الآيتان: 47-48.
- 2- سورة يس، الآية 55.
- 3- الشنآن: الحقد المبعوض.
- 4- سورة الأنفال، الآية 16.
- 5- الزرافة: جماعة من الناس.

غير أنا محبوسون للكلمة السابقة، ولا نريد أن نتسرع إلى الجنة من قبل الميقات، بدليل قوله عز وجل: "إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيستها وهم في ما اشتبهت أنفسهم خالدون، لا يحزنهم الفزع الأكبر، وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون"¹

6-مأدبة في الجنات:ص112

"... فإذا حصلت النحوص،² فوق الأوافض، والأوافض مثل الأوضام³ بلغة طى، قال، زاد الله أمره من النفاذ: أحضروا من في الجنة من الطهارة الساكنين بحلب على ممر الأزمان، فتحضر جماعة كثيرة فيأمرهم باتخاذ الأطعمة، وتلك لذة يهبها الله عز سلطانه، بدليل قوله: "وفيها ما تشتهيهِ الأنفس، وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون.وتلك الجنة التي أورتموها بما كنتم تعلمون، لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون"⁴

7-من طواويس الجنة: ص 120

" ويعبر بين ذلك الأكراس، أي الجماعات، طواويس من كواوس الجنة يروق من رآه حسنا، فيشتهيه أبو عبيدة مصوصا، فيتكون كذلك في صفحة من الذهب، فإذا قضي منه الوطر، انضمت عظامه بعضها إلى بعض، ثم تصير طاووسا كما بدا فيقول الجماعة: سبحان من يحي العظام وهي رميم، هذا كما جاء في القرآن الكريم: "وإذا قال إبراهيم: "رب أرني كيف تحيي الموتى؟ قال: أو لم تؤمن؟ قال: بلي، ولكن ليطمئن قلبي، قال: فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا، ثم ادعهن يأتينك سعيًا، واعلم أن الله عزيز حكيم"⁵

8-أهل النار: ص 125

"ويبدو له أن يطلع إلى أهل النار فينظر إلى ما هم فيه ليعظم شكره على النعم، بدليل قوله تعالى: "قال قائل منهم: إني كان لي قرين، يقول أئنك لمن المصدقين، أنذامتنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون؟ قال هل أنتم مطلعون؟ فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال: تالله إن كدت لنردين، ولو لا نعمة ربي لكنت من المحضرين"⁶

- 1- سورة الأنبياء، الآيات 101، 102، 103.
- 2- النحوص: ماسمن من الإبل.
- 3- الأوضام: جمع وضم: وهو الخشبة التي يستعملها الجزار لقطع اللحم.
- 4- سورة الزحرف، الآيات: 71، 72، 73.
- 5- سورة البقرة: الآية 260.

9- إبليس وبشار ابن برد: ص 137

" فيطلع، فيري إبليس، لعنه الله، وهو يضطرب في الأغلال والسلاسل، ومقامع الحديد تأخذه من أيدي الزبانية، فيقول: الحمد لله الذي أمكن منك ياعدو الله وعدو أوليائه، لقد أهلكت من بني آدم طوائف لا يعلم عددها إلا الله، فيقول: من الرجل؟ فيقول: أنا فلان ابن فلان من أهل حلب، كانت صناعتى الأدب، أتقرب به إلى الملوك، فيقول: بنس الصناعة، فهياًنا لك، إذا نجوت وأولي لك ثم أولى، وإن لي إليك حاجة، فإن قضيتها شكرتك يد المنون، فيقول: إنني لا أقدر لك على نفع بدليل قوله: " ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين"¹.

10- عود إلى الجنان (آدم): ص 166

"إذا رأى قلة الفوائد لديهم، تركهم في الشقاء، وعمد لمحلته في الجنان فيلقي آدم عليه السلام فيقول: يا أبانا، صلى الله عليك قد روي لنا عنك شعر، فيقول: إن هذا القول حق وما نطقه إلا بعض الحكماء، ولكني لم أسمع به حتى الساعة، فيقول: وفر الله قسمه في الثواب، فلعلك يا أبانا قلت ثم نسيت، فقد علمت أن النسيان متسرع إليك، وحسبك شهيدا على ذلك، بدليل قوله تعالى: "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسني ولم نجد له عزما"².

11- تشابه الحلولية والتناسخ: ص 219

" وأجمع ملحد ومهتد، وناكب عن المحجة ومقتد، أن هذا الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، كتاب بهر بالإعجاز، ولقي عدوه بالأرجاز، ما حذي على مثال، ولا أشبه غريب الأمثال، ما هو من القصيد الموزون، ولا الرجز من سهل وحزون، ولا شاكل خطابة العرب، ولا سجع الكهنة ذوي الأرب، وجاء كالشمس اللائحة... بدليل قوله: " وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون"³.

1-سورة الأعراف، الآية 50.

2-سورة طه، الآية 115.

3-سورة العنكبوت، الآية 43.

12- أهل بلدي: 237

" وأما أهل بلدي، حرسهم الله، فإذا كان الحظ قد أعطاني حسن ظن الغرباء، فلا يمتنع أن يعطني تلك المنزلة من الرهط القرباء، ولكنهم معي كطلاب الخطبة من الأخرس وحر تاجر من شهر الفرس، وسيدي الشيخ أو العباس الممتع، في السن ولد، وفي المودة أخ، وفي فضله جد أو أب، وإنه في دأبه، كما قال تعالي: "وما لأحد عنده من نعمة تجزى"¹، بعد هذا العرض العام لهذه النصوص النثرية نتوصل إلى أن كل باب من الأبواب المذكورة يتضمن استشهاد بالقرآن الكريم وكأنه جعل القرآن ملازماً له أثناء تأليفه لهذا الكتاب.

5- تحليل العينة:

يتضح لنا من خلال تلك النصوص المدروسة أن المعري كان حريصاً على أن يأتي من المشاهد ما يؤكد صدق القرآن في تلك الأمور، إذ توصلنا في الأخير إلى أن عالم أبي العلاء في رسالته كان قرانياً حيث تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن: "ففي جنة أبي العلاء و جحيمه ملامح واضحة من الجنة والجحيم في القرآن الكريم"، وهو في كل ما أخذ يقدم معه الشواهد القرآنية² ما في جنته من أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، بدليل الآية الكريمة: "مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات" كما سمي دار العذاب بأسمائها القرآنية: النار، الجحيم، جهنم، سعر، كما استعمل السعير والزبانية والأغلال، والسلاسل مقامع الحديد كما أسلفنا الذكر: "فيتطلع، فيري إبليس، لعنه الله، وهو يضطرب في الأغلال والسلاسل ومقامع الحديد تأخذة الزبانية"³.

- 1- سورة الليل، الآية 19.
- 2- ذلك لأنه كان متهم في عقيدته، وليثبت عكس ما إتهم به.
- 3- أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تح علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2007، ص137.

وما كان باستطاعه أن يتمثل جنته وناره بمعزل عما ترسخ في عقيدته ووجدانه وثقافته من الصور القرآنية للحياة الآخرة وما يمكن لأي مسلم صادق الدين أو مفرط فيه أن يصور لنفسه عالمه الآخر، وليس فيه ملامح من تصويره الديني للحياة الآخرة اقتباساً من كتاب الله ووصف نبيه، ورسالة الغفران تأسست على فكرة "رحمة الله وسعت كل شيء" على أساس أن الإنسان مسير قد علم الجبر الذي نسب إليه جبريل¹، يقول الدكتور صلاح فضل: " والأثر الإسلامي الأكبر الذي صاغ ملحمة المعراج أوائل الحادي عشر ميلادي هو رسالة الغفران لأبي العلاء المعري والتي تعد من أنصح نماذج الثقافة العربية"²

ويرى الدكتور يسري سلامة أن مصادر المعري الغفرانية إسلامية وأن فكرة العالم الآخر عنده إسلامية أن مصادر المعري الغفرانية إسلامية وأن فكرة العالم الآخر عنده إسلامية: "إن الجنة التي رسمها في رسالة الغفران تستمد أصولها من جنة القرآن"، حيث اختلفت آراء الباحثين والمؤرخين فيما يخص مصدر فكرة الغفران، ولا شك أن الآراء كلها انصبحت حول فكرة واحدة وهي الأديان، كما يرى الدكتور "عبد الرزاق حميدة" في مبحثه (شياطين الشعراء) ويؤكد مصدر المعري الديني في رسالة الغفران.

والمعري إذن ليس خارجا عن الدين، فالخارج عن الدين لا يهمله كثيرا أن يتناول الدين بالبحث العلمي أو الأدبي، فالمعري خدم الدين خدمة جليلة، وذلك بما اصطنعه من أسباب التخيل والإيهام، إذ قرب فكرة العالم الآخر والبعث والجنة والنار.

يقول سبينوزا: "إن المعرفة البنيوية تستعمل الصور الخيالية من أجل التأثير في النفوس، في حين المعرفة الطبيعية تدرك الحقائق ذاتها دون تخيل"³، وأن المعري قد استخدم المعرفتين: البنيوية للتخيل بهدف الخير، والطبيعية وصولا بالمتلقي إلى الحق والحقيقة ولا نظن أحدا يزعم أن المعري قصد غير الحق والخير والعدل في كل ما كتب أو أصدر.

-
- 1- مقدمة رسالة الغفران، ص50.
 - 2- صلاح فضل، تأثيرات الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتى دار المعارف، القاهرة، ص72.
 - 3- أبو الحسن سلام، الظاهرة الدرامية والملحمية في رسالة الغفران، ص52.

خاتمة

هذه خلاصة ما كتبنا عن أبي العلاء وعن أدبه وعلمه وفلسفته لايفرغ منها القارئ حتى يتجلى له القرن الرابع والخامس واضحين ولسنا نزعم أننا وفقنا فيها إلى الكمال، ولا إلى ما يقرب الكمال وإنما نعتقد أننا لم ندع جهدا في البحث والتقيب، وفي التعليل والاستنباط إلا بدلناه.

ولسنا نحمد أبا العلاء ولا تدمه وإنما نرجو أن نكون قد مثلنا صورة حية من صور المسلمين في عصورهم الماضية تدعوا إلى العظة والاعتبار، وعلى الله وحده نحتسب ما لقينا في ذلك من الجهد والعناء واليه نفرز في التماس المعونة والتوفيق.

فقد كان عقله هو القسطاس الدقيق الذي يزن به الأمور، رجل جسد فلسفته في الحياة من خلال شعره و نثره ، فوسع في دائرة الشعر بأغراض لم يعهدها من قبل وخاض في مواضيع حساسة تعكس كل ما جال

في خاطره من أفكار ومبادئ ، حيث هام في تلك الأفاق بعيدا مما جعله يصادف بعض المصاعب التي أدت به إلى الشك حيناً ويسخر حيناً آخر.

إن الضجة التي قامت حول المعري لم تكن سوى بدافع الغيرة والحسد من شائئيه الذين أبوإلا أن يربطوا اسمه بلقب الزنديق طول الزمن فكان لهم ذلك، ولكن مصيره ذاك كان مصير أي عظيم من العظماء في زمن فقد فيه البصر وطمست البصيرة بالرغم من أن نظرة إمعان واحدة إلى رصيد هذا الرجل تكفي لرفع الظلم عنه، وأملنا أن نكون أثرينا بابا كان قد فتح ورجاؤنا أن ترفع الدراسات والأبحاث اليوم راية دفع الظلم عن حكيم المعرفة.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1. القرآن الكريم.
2. أبو العلاء المعري اللزوميات ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1986.
3. أبو العلاء المعري، اللزوميات ج2، دار الجبل بيروت، ط1، 1992.
4. أبو العلاء المعري رسالة الغفران، تح علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2007.
5. أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر للطباعة والنشر، ط4، 2005.
6. الشيخ موسى بن محمد بن موسى بن يوسف الفليبي، معجم الألفاظ القرآنية ومعانيها، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، ط1، 2003.
7. مجدى وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلاح، بيروت، ط2، 1984.

المراجع:

1. أبو الحسن سلام، الظاهرة الدرامية والملحمية في رسالة الغفران، دار الوفاء لندنيا للطباعة والنشر، ط1، 2004.
2. أنيس المقدسي، أمراء الشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1976.
3. بنت الشاطي، رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، سلسلة تراث الإنسانية، مج2.
4. تغريد زعيميان، الآراء الفلسفية عند أبي العلاء وعمر الخيام الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2003.
5. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية، ط3، 1953.
6. خليل شرف الدين، أبو العلاء المعري مبصر بين عميان، دار ومكتبة هلال، دط، 1979.
7. زيدان عبد القادر، قضايا العصر في أدب أبي العلاء ج1، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر ط1، 2004.
8. زيدان عبد القادر، قضايا العصر في أدب أبي العلاء، ج2، دار الوفاء لندنيا للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2006.
9. سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، دار الوفاء لندنيا للطباعة والنشر، دط، 1999.
10. صلاح فضل، تأثيرات الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتلي، دار المعارف القاهرة.
11. طه حسن، أبو العلاء المعري، الشركة العالمية للكتاب، ط2، 1983.
12. عائشة عبد الرحمن، قراءة جديدة في رسالة الغفران، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة.
13. عبد الله العلايلي، المعري ذلك المجهول، دار الجديد، ط3، 1995.
14. عبد المجيد دياب، أبو العلاء المعري الزاهد المفترى عليه، المكتبة الثقافية، مطابع الهيئة المصرية للكتابة دط، 1986.
15. كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم دراسة تحليلية لظاهرة الاغتراب، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2008.
16. كامل سغفان، في صحبة أبي العلاء بين التمرد والانتماء، دار الأمين للنشر والتوزيع القاهرة، ط1، 1993.
17. منير سلطان، التضمين والتناص، وصف رسالة الغفران للعالم الآخر، منشأة المعارف الإسكندرية، 2004.

أ	الفهرس
4 مقدمة
 مدخل
	الفصل الأول: العقل
7	1. تعريف العقل
7	أ. لغة.....
	ب. اصطلاحا.....
8	2. العقل عند المعري
15	1.2. الأصول الفلسفية عند أبو العلاء المعري.....
18	2.2. العقل وثنائية البنوة والإمامة.....
	3.2. العقل وثنائية الشك واليقين.....
	الفصل الثاني: الدين
22	1. تعريف الدين
22	أ. لغة.....
	ب. اصطلاحا.....
25	2. الدين عند المعري
25	3. دين المعري بين الإيمان والكفر.....
33	1.3. التشكيك في عقيدة المعري وديانته.....
	2.3. إثبات براءة المعري.....

الفصل الثالث: دراسة تطبيقية

43

44

1. تمهيد.....

2. فكرة الغفران في المعتقد الإسلامي.....

46

3. الوقوف عند بعض النصوص التي تضمنها رسالة الغفران

47

1.3. القرآن الكريم.....

49

2.3. قصة الإسراء والمعراج.....

51

4. وصف المدونة.....

55

5. تحديد العينة.....

57

6. تحليل العينة.....

58

خاتمة.....

59

قائمة المصادر والمراجع.....

الفهرس.....

